سلسلة شروح فضيلة الشيخ

شرح

قواعد الاعتقاد

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله ورعاه

خدمة دروس الشيخ

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ

لأي ملاحظة يرجى مراسلتنا على

للاستفسار

الرجال : +965 50110130

النساء : +965 96537184

www.DRABOSALAHM.com

@DrAboSalahM

خدمة دروس الشيخ

قواعد في الاعتقاد

المجلس الأول

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

أيها الأخوة والأخوات.. أهلاً ومرحبًا بكم في هذا اللقاء الجديد من اللقاءات العلمية، والتي تتمثل في هذا اليوم والأيام التي تليه في إقامة هذه الدورة العلمية الشرعية التأصيلية في عدة علومٍ من علوم الشريعة.

لا يخفى عليكم إخواني أن خير ما تُحفظ به المجتمعات وتصان به من الفتن ويُنشر فيها الخير هو العلم الشرعي الصحيح؛ لذا جاءت فكرة هذه الدورة العلمية الشرعية، وهي بالتعاون مع مركز الدعوة والإرشاد بدبي، المتمثل في رئاسة فضيلة الشيخ الدكتور: عزيز بن فرحان العنزي -وفقه الله تعالى- وسدده.

لا أطيل عليكم إخواني حفاظًا على الوقت وانتهازًا لاغتنام وجود الشيخ الدكتور: محمد هشام -وفقه الله-، لكن أُنبه على أمور:

الأول: مادة العقيدة ليس لها متن معين، حيث لا يوجد كتاب يجمع قواعد، اللّهم كتاب الشيخ ابن عثيمين -رحمة الله عليه-، وهو طويل قد لا يتناسب مع مدة الدورة.

والأمر الثاني: المتون ستوزع إن شاء الله، البقية في مصطلح الحديث وفي أصول فقه مع فترة إن شاء الله مجيء الوقت بإذن الله جَلَّ وَعَلَا.

بالنسبة للأخوات هناك يعني مشرفات إداريات وضعن من قبل الدائرة، فنرجو من الأخوات الكريمات التعاون مع هؤلاء المشرفات، كما أنه خُصص مكانًا خاصًا للأخوات التي معهن أولادهن، فنرجو من الجميع التي يصحبن الأولاد أن لا يختلطن بالأخوات اللاتي ليس معهن أحد من أولادهن، فهذا يعني تحقيقًا للمصلحة.

أيضًا رغب الإخوة في هذه الدورة أن تسجل الأسماء؛ وذلك لتقديم شهادات تقدير للأخوة المشاركين الملتحقين بالدورة، فنرجو من الجميع التعاون معنا على هذا، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد.

والآن مع فضيلة شيخ الدكتور محمد هشام في مادة الاعتقاد.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله العظيم الجليل، نحمده سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ثبَّت العلوم بالقواعد والأصول، وأصلي وأسلم على من ثبَّت قواعد الدين، صلى الله عليه، وعلى آله الغر الميامين، وبعد.

أولًا نشكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على ما مَنَّ به من إقامة هذه الدورة العلمية في العلوم الشرعية المختلفة، ثم نشكر القائمين على هذه الدورة، سواء الإخوة في إدارة الشئون الإسلامية أو في مركز الدعوة، فجزاهم الله خيرًا على ما يقومون به، والله نسأل أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم وأن يسدد بهم وينفع، ثم الشكر موصولٌ لكم على حضور مثل هذه الدورات التي فيها المنافع والعظات.

وينبغي لطالب العلم أن يقتنص الفرص، فإذا كان في قديم الزمان يرحل طالب العلم إلى أحد المشايخ وهو في ناحية من النواحي؛ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يسر تحصيل العلم بأن يأتي طلبة العلم والمشايخ إلى طلاب العلم، وهذه مِن مِنن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وتيسيره على العبادِ في هذا الزمانِ على وجهة الخصوص.

أما نصيبي في هذا الدورة؛ فكما هو معلن: القواعد في العقائد، أو قواعد في الاعتقاد.

العلمُ بحورٌ زاخرة، ولكن من حفظ أصوله حصَّل علومُ وافرة، ومعرفة القواعدِ الشرعية في جميعِ أبواب العلم من علم الأصول.

وقديماً قيل: من حُرم الأصول حُرم الوصول، ومن تفوته الأصول يُحرم الوصول، وما يمكن نيل المرام إلا بنيل والعلم بالقواعد العظام ومعرفة الأصول الجسام، سواء كانت هذه القواعد في أبواب الاعتقاد أو في أبواب الفقه أو في أبواب الأصولِ أو في أبوابِ المصطلح.

بل الأمرُ اعظم من هذا، حتى إن العلماء رَحِمَهُم اللهُ لما رأوا قصور الهِمم أدركوا أن هناك آيات هي أصولٌ جامعات لآيات الأحكام، فسموها: (الآيات الجامعة الأحكام).

بل من أهل العلم من قال عن سورة البقرة: (السورة الجامعة)؛ فهي السورة الوحيدة التي لا تحتاج إلى سورة أخرى في بيان الأحكام، وكل سور القرآن محتاجة إلى سورة البقرة، ومن حفظ آيات الأحكام حاز الأصول في الاستدلال، وهكذا من حفظ الأحاديث الجوامع -كما نبه على ذلك النووي رَحِمَهُ اللهُ وغيره-؛ فأنه قد أدرك الجامع من أقوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهكذا مسائل الاعتقاد؛ فأنها متناثرة ومتكاثرة وكثيرة، وينبغي لطالب العلم أن يهتم بتحصيل القواعد التي تجمع هذه المسائل، فيكون بذلك محصلًا السداد إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فمن المهم بمكان أن يهتم طالبُ العلم على وجهة الخصوص بقواعد العقائد.

لما نقول قواعد العقائد نقصد به القواعد الجامعة التي تجمع مسائل متعددة في الاعتقاد، ومع الأسف الشديد -كما ذكر أخي فضيلة الشيخ يوسف الحمادي-: أن العلماء رَحِمَهُم اللهُ لم يؤلِّفوا في هذا الباب مؤلفات مستقلة.

وقد أسند إليَّ في عام (واحد وثلاثين وأربعمائة بعد الألف) من هجرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن أُدرِّس مادة العقيدة في محاضراتٍ علمية، وهي ست محاضرات لطلاب دار القرآن الكريم في دولة الكويت، فاحترت ماذا أُدرسهم في هذه الأيام الست؟

فاقترح بعض الأخوة أن أجمع القواعد في العقائد وأن أُدرِّسها، فكان ذلك نواة في أن أجمع القواعد المتناثرة في بطون الكتب، وأخذت أبحث عن هذه الكتب في العقائد لعلي أقف على مؤلف مستقل، فلم أقف على مؤلَّفٍ في قواعد للعقائد سلفي المأخذ، مُتَّبع الطريقة، مُوفيًا الغرض على الصواب، مؤديًا حق الباب.

فلما كان الأمر كذلك رأيت الأمور في بطون الكتبِ متناثرة والمسائل متكاثرة؛ أردتُ أن أجمع هذه القواعد في مكانٍ واحد، فكان ذلك نواة لمؤلَفٍ لمَّا يرى النور بعد، فلما كلمني

الأخوة في الشئون الإسلامية عن هذه المسائل فرحت بها، لعل ذلك يكون سبباً في نظري مرة أخرى إلى هذه القواعد.

ولكن بادئ ذي بدء أحب أن أُنبه على أن أي قاعدةٍ يذكرها من بعد؛ فإن مرجعها لابد وأن يكون له أصلًا؛ إما في كتاب نقض الإمام الدارمي لبشر، وإما في كتاب التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وإما في كتاب الواسطية.

وجدت أن هذه القواعد لا تخرج عن هذه الكتب الثلاثة، وإن لم ينُص مؤلفوها، ولم يقل العلمين أن هذه قاعدة.

والعجب أن العلمين الإمامين الدارمي وشيخ الإسلام لم يقصدا التأليف، ولكن مؤلفيهما جاءا مشتملين لهذه القواعد فضلًا من الله ونعمة، جُل القواعد التي يذكرها العلماء بعد موجودة في هذين المؤلفين، ولكن -كما ذكرت- غير منصوصٍ عليهم بكلمة قاعدة، وغير مرتبٍ ترتيب كتب القواعد.

ثم نظرت إلى مؤلفات أخرى، وإذا صح التعبير يمكن أن يكون ذلك نواة للتأليفِ في باب القواعد في العقائد، فوجدت أن الغزالي ألَّف كتاب سماه: القواعد في العقائد، ولكنه ليس على طريقة السلف -فتجاوز الله عنه ورحمه-، بل سلك في الكتاب مسلك المتكلمين، ولم يراعى في الاستدلال فيه مسلك المتبعين للسنة والآثار.

ثم نظرت إلى كلام الإمام العلم الهُمام مجدد الدعوة محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فوجدت أنه كثيرًا ما يقول في مؤلفاته العقدية والقاعدة، والقاعدة المتقررة، طبعًا القاعدة ليس المقصود بها جماعة الفئة الضالة، لا، المقصود بالقاعدة سيأتي بيانه إن شاء الله، قاعدة علمية، ليست قاعدة عسكرية.

فالإمام محمد رَحِمَهُ اللهُ يقول: والقاعدة، أو يقول: والقاعدةُ المتقررة.

ولما كنت أكتب في رسالتي الدكتوراه، كنت أجمع هذه العبارات التي جاوزت الخمسين عبارة، وهو يقول: والقاعدةُ المتقررة، ثم إن لمسهلِ علمِ الشيخين ابن تيمية وابن

القيم، والعلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ له كتابٌ عظيم في هذا الباب، وسماه: القواعد والأصول الجامعة.

وفي الحقيقة أن هذا الكتاب هو نستطيع أن نقول عنه: فيه خلاصة كلامِ شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم؛ وهي قواعد، لكن تحتاج إلى صياغة على طريقة القواعد التي سار عليها مؤلفُو كتبِ القواعد.

فأصَّل السعدي رَحِمَهُ اللهُ بتأصيلاتٍ عظيمةٍ على وِفق عقيدة أهل السنة والجماعة من كلام شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رَحِمَهُم اللهُ تَعَالَى.

ثم وقفت على كتابٍ للشيخ البُريكان رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى جمع فيه القواعد؛ وهو كتابُ جامعُ ماتع ونافع، وقد توفي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قبل الشيخ ابن عثيمين بمدة يسيرة، ثم كلنا نعلم المؤلَّف العظيم؛ مؤلَّف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المشار إليه باسم: القواعد المُثلى في اسماء الله وصفاته الحسنى.

واسمه يُنَبِّئُكَ ويُنْبِئُكَ على أن الكتاب مشتمل على قواعد في أى باب؟ باب الأسماء والصفات، وهل القواعد في العقائد منحصر في هذا الباب فحسب؟

الجواب: لا، لأن القواعدَ هي متعددة شاملة لجميع أبواب الاعتقاد، فنسأل الله جَلَّ وَعَلَا التيسير في جمع هذا الشتات، وأن ييسر لنا ويبارك في أوقاتنا.

ورأيت أن أجمع كتابًا في العقائد في القواعد وأجعل الطريقة فيها على طريقة كتب القواعد، أذكر القاعدة، ثم معنى القاعدة لغةُ واصطلاحًا، ثم دليل القاعدة، ثم ما يندرج تحت هذه القاعدة من بعض المسائل، ورتبتُ هذه القواعد -حتى لا يكون الكلام يأخذ بنا يمينًا و شمالًا- رتبتُ هذه القواعد ترتيباً منطقيًا سلسًا.

فأولًا: نتحدث في هذه المحاضرة عن نشأة أو مقدمة إذا صح التعبير فيما يتعلق بالقواعد في علم العقائد، ثم رتبتُ القواعد ترتيبًا سداسيًا وِفق أركان الإسلام: -سداسية من حيث العدد، ليس من حيث الموافقة-.

أولاً: ذكرت وجمعت القواعد المتعلقة في الاستدلال، وإذا صح التعبير فهي: القواعد التي تتعلق بالمنهج، وهي نفسها القواعد العامة في باب الاعتقاد.

ثانيًا: نذكر القواعد العامة في باب توحيد الربوبية.

ثالثًا: نذكر القواعد العامة في باب توحيد الألوهية.

رابعًا: القواعد العامة في باب توحيد الأسماء والصفات.

خامسًا: نذكر القواعد العامة المتعلقة ببقية أركان الإيمان الأربع، وهي: الملائكة، الكتب، الرسل، اليوم الآخر، القدر.

ثم سادسًا: أذكر سردًا القواعد العامة المتعلقة ببقية مسائل الإيمان إذا كان في العمر بقيةٌ إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وسميتُ هذا المؤلف: بالقواعدِ في العقائد، فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى التوفيق والسداد والهدى والرشاد.

وكما هي طريقة المتقدمين نذكر أولًا المعنى اللغوي بكلمة القواعد، ما المراد بالقواعد؟ لما نقول القواعد في العقائد، ما المراد بكلمة القواعد؟ -أخاف واحد يظن يقول: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ -.

القواعد في اللغة العربية جمع قاعدة، ومعنى القاعدة في اللغة: الأصل والأساس؛ ولذلك يسمى أساسُ البناءِ قواعده، ومنه قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧].

إذًا من الذي وضع قواعد البيت؟ من الذي رفع قواعد البيت؟ إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾.

وجاء في القرآن الكريم ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، إذًا البنيان ينهدم من أعلى أم من القواعد من الأسفل؟ من المكان المتقرر للبناء.

فإذًا معنى القواعد في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وفي لغةِ العرب القاعدة: الأصلُ والأساس.

وكلمة قاعدة أصلها الاشتقاق اللغوي من كلمة (قَعَدَ)؛ القاف والعين والدال.

وكما يقول ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: فهذه الكلمات الثلاث تدل على الثباتِ والاستقرار.

لماذا يقال رجلٌ قاعد؟ يعني: مستقرٌ ثابت، جالس، وقَعَّد أي: وضع الأصول.

قال الزَّجَّاج رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : القواعدُ أساطين البناء التي تعتمد عليه، قال: وقواعد الهودج خشبات أربع معترضة في أسفله، تركب عيدان الهودج فيها. والزَّجَّاج معروف أنه من علماء اللغة.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي رَحِمَهُ اللهُ: القواعد السحاب أصولها المعترضة في آفاق السماء شُبِّهت بقواعد البناء.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: أراد بالقواعد ما اعترض منها وسفُل تشبيهًا بقواعد البناء.

قال أبو عبيد وابن الأثير: هذا الكلام بناءً لحديث: (كيف ترونَّ قواعدها وبواسقها؟)، في الحديث، لكن الحديث هذا لم يثبت رفعه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولكن تعلمون –يا رعاكم الله– أن الهروي وكذلك ابن الأثير في غريب الحديث يمشيان على قاعدة أن كل ما قيل فيه حديث فإنهم يفسرونه تفسيرًا لغويًا، وتفسيرهم في اللغةٍ معتمدٌ.

قال: –الكلام لازال لابن الأثير–: وقالوا في المرأة التي قعدت عن الحيضِ والأزواجِ قاعدٌ والجمعُ قواعد.

امرأة قاعد أي: بمعنى أنها ليست ذات بعل أو أنها لا تريد الزواج، والجمع قواعد، ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾.

ومن معانى القاعدة في اللغة: الضابط الذي يضبط الأمور المتعددة، وهذا هو الذي يسميه علماء القواعد بالأمر الكلي الذي ينطبق على جميع جزئياته، ومثل قول العرب: (كُلُّ أَذُونٌ وَلُودٌ وَكُلُّ صَمُوخٌ بَيُوضٌ)، محتاج تفسير؟

هذه قاعدة ما فيها استغناء؛ كل أذون ولود، يعني بمعنى: كل شيء له أذن فإنه يلد، وكل صموخ، أي: ليس له أذنٌ ظاهر فإنه يبيض؛ الدجاجة تبيض، هذه قاعدة.

إذاً عرفنا ما معنى القاعدة في اللغة: الأصلُ هو الأساس والأمر الذي يضبطُ أمورًا متعددة.

أما القاعدة في المعنى الاصطلاحي؛ قلنا القاعدة في المعنى الاصطلاحي، المعنى الاصطلاحي عند مَن؟

هناك قواعد اصطلاحية عند علماء الأصول، هناك قواعد اصطلاحية عند علماء الفقه، هناك قواعد اصطلاحية عند علماء الحديث، هناك قواعد اصطلاحيه عند علماء التفسير، مثل قولهم: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

فلما نقول المعنى الاصطلاحي للقاعدة عند من؟ هنا نحن نريد المعنى الاصطلاحي للقاعدة، يعني: عند علماء القواعد، كل من يُقعِّد فهو يقصد هذا المعنى الاصطلاحي.

قضيةٌ؛ ما معناها في الاصطلاح؟ قضيةٌ كلية منطبقة على جميع جزئياتها، سواء كانت القضية سالبة أو موجبة.

فمثلًا: لو قلنا: الشركُ لا يغفره الله؛ هذه القاعدة كلية منطبقة على جميع جزئياتها؛ فالشرك في الربوبية لا يُغفر، الشرك في الألوهية لا يُغفر، الشركُ في الأسماء والصفات لا يُغفر؛ أيًّا كان جهة الشركِ فإنه لا يُغفر.

وتبقى قضية هل الشرك الأصغر داخلُ في هذه القاعدة أو لا؟ هذه مسألة نأتي إن شاء الله إليها عند الحديث عن القاعدةِ نفسها.

إذًا القواعد في الاصطلاح: قضيةٍ كلية منطبقة على جميعِ مسائلها، على جميع جزئياتها، على جميعِ أفرادها، المعنى لا يختلف، أو هو تعريف اصطلاحي آخر متقارب للأول: أو هو حكمُ كليٌ ينطبق على جميع جزئياته.

التعريف الأول -تعريف الجرجاني-، والتعريف الثاني هو تعريف التفتازاني، وابن حزم أيضًا أورد مثل هذا تعريف، قال: حكم كلي ينطبق على جميع جزئياته.

لكن ننتبه أننا في تعريفنا الاصطلاحي الثاني الذي ذكرناه، قد لا يصح على كل القواعدِ في العقائد، لما؟ لأن القواعد في العقائد ليست كلها أحكام، بل جُلها أخبار؛ فهذا الكلام ينطبق على الكليات التي هي أحكام.

فمثلاً: لو قال قائلُ في العقائد في قواعد العقائد: لا يجوز الخروجُ على ولي الأمرِ الظالمِ أيًّا كان؛ فهذا صحيح حكمٌ كليٌ منطبقٌ على جميع جزئياته، فأورده على صيغة الحكمِ فصح على هذا النوعِ من التعريفِ.

ولكن لو أورده على صيغة الخبرِ؛ فإن التعريف الأول هو الذي يصح، قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها.

فلو قال قائل: الخروجُ على الحكامِ ليس من منهج السلف؛ صار الآن القضية ما فيها حكم، القضية خبر، القاعدة أصبحت من القواعد الخبرية وليست من القواعد الحكمية، هذه واضحة.

أترى أحيانًا أنا أقول كلام أنا لست كاتبه، يا ليت لو واحد منكم يضبطها بعد ويعطيني إياه بعد.

فهذا كلام صحيح، فهذا التعريف الذي ذكره التفتازاني صحيح، قلنا: لكن لا على كلِ القواعد في باب الاعتقاد؛ فإن بعضها من بابِ الإخبار.

وهناك تعريفات أخرى للقواعد ذكرها علماء القواعد قديمًا وحديثًا، وفي مجموعها هي لا تخرج عن هذا المعنى.

فمثلًا: لو أوردنا كلام بعض المعاصرين –مثلًا– يقول في تعريف القواعد يقول: (أصول ومبادئ كلية تُصاغ في نصوصٍ موجزة تضمن أحكامًا تشريعيةً عامة في الحوادث التي تدخلُ تحت موضوعها)؛ هذا التعريف صحيح لكن للقواعد الفقهية.

أما في قواعد العقائد فالتعريف يكونُ صحيحًا بشرط أن نقول: أصول ومبادئ كلية تُصاغُ من نصوصٍ شرعية تحتها مسائلُ كثيرة، وهذا صحيح، أما أن نقول أن هناك حوادث وأفعال و و إلى آخره، فهذا كما ذكرتُ فيه نظر.

فهذه التعريفات وإن اختلفت عباراتها فهي في مجموعها متفقة على أن المراد بالكلية، على أن المراد بالقاعدة، القضية الكلية التي لها جزئيات أو مسائل متعددة مندرجة تحتها.

بعد أن عرفنا معنى القاعدة في الاصطلاح، فنحن نقول القاعدة في الاصطلاح إذا قال علماء العقائد: والقاعدة المتقررة، أو إذا قالوا: والقاعدة هي؛ فمرادهم: الأمر الكلي أو الأصل العام الذي تحته مسائل، هذا التعريف يكفي.

ها هنا سؤال ما هي فوائدُ القواعد؟ يذكر علماء الأصول لقواعدهم الأصولية فوائد، ويذكر علماء الحديث لقواعدهم الحديثية فوائد، ويذكر علماء التفسير للقواعد في التفسير فوائد.

إذًا: نحن أيضًا لابد أن نذكر الفوائد التي نرجو ثمراتها من وراءِ ذكرنا وجمعنا لهذه القواعد، وهي:

أولًا: أننا بحفظنا وجمعنا لهذه القواعد نحقق مقصدًا شرعيًا؛ فإن من المقاصد الشرعية ضبطُ الخلقِ سواء في باب الاعتقاد أو في غيره وفقَ الشرع، ولا يتم ذلك إلا بحفظ القواعد وضبطها.

ولذلك لو نتأمل آية واحده في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ندرك ذلك: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ما قال أنه أبيض أو أسود ولا طويل ولا عريض ولا أصفر ولا أحمر، ذكر قواعد عامة موصوفٌ بها هذا النبي يُعرف بها، قال: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾.

إذًا: تأملوا معي أن الشرع أرسل محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلُ بالشرع، والشرع فيها هذه الضوابط التي تجمع الخلق، ما يمكن جمع الخلق إلا على ضوابط و بدون ضوابط كيف يجتمعوا؟

فأنت يا طالب العلم على وجه الخصوص مسئولٌ عن حفظِك وضبطك لهذه القواعد، ليكون ذلك سببًا في جمع الخلق.

فإذا تكرر عندنا مثلًا أن التوحيد سبب للتوحيد، قاعدة الآن: فالكل سيسعى إلى إحياء التوحيد.

لكن حينما يسمع بعض الناس أو حتى بعض المسئولين أو حتى بعض الحكام لما يسمعون التوحيد يُفرق الناس، التوحيد يشتت الناس على ما يقوله أهل البدع والأهواء؛ فحينئذ يكون اتركونا من التوحيد، لكن لو أن أحييَ لهم هذه القاعدة: التوحيد سببُ للتوحيد؛ لكان ذلك أدعى لضبط الناس على الشرع.

لو قلنا للناس: كل بدعةٍ ضلالة، نستطيع أن نضبط الناس بهذه الكلية، لكن إذا قلنا لهم: لا البدع فيها الأحكام الخمس على قول بعضهم، أو قلنا: البدع بدعتان، الناس لا يستطيعوا أن يجتمعوا، ما يعرفون الضلال خلاص يضيعون.

ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسائل الاعتقاد كان يقرر هذه القواعد، فقد جاء في صحيح الإمام مسلم أنه كان يقول في كل خطبة جمعة: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَإِنْ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

الآن عندنا كم قاعدة؟ كل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار، تأملوا الآن -سبحان الله- هذه كليات قواعد، فهذه فائدة عظيمة.

الفائدة الثانية: أن القواعد عبارات موجزة ذات دلالاتُ عظيمة.

تأمل معي حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»؛ كلمتين، ما أعظم معناهم.

اسمع إلى هذا الحديث: يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ»؛ تأمل كلمة (كلكم)، «كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ».

فلا يمكن لأحد أن يرجو الهداية من وراءِ إلا من الله عَزَّ وَجَلَّ، فنتأمل أن هذه القواعد عبارات موجزة ذات دلالاتٍ عظيمة.

ثالثاً: هذه القواعد كل قاعدة منها تعتبر من الاعتقادات التي تُبنى عليها الأحكام، إذاً: لابد من حفظها وضبطها.

رابعاً: معرفة القواعد تضبط للمتعلم أبواب الاعتقاد.

خامسًا: تنيرُ لطالب العلم الدرب فيما لا يعلم، فيجعلها أصلًا ينطلق منها ويتكئُ عليها.

ولنضرب مثال الآن: إذا قلنا بالقاعدة المتقررة: العبادة لا تكون إلا لله.

تأمل معي هذه القاعدة، فإذا جاءك شخص وقال لك: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، فنطلب منهم الشفاعة؟ فلنفرض على أنك لا تعرف تجاوب على هذه الشبهات، ماذا تفعل؟

تنطلق من القاعدة التي عندك: العبادة لا تكون إلا لله، وطلبُ الشفاعة من الله عبادة.

إذًا: لا يطلبها من غير الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فطالب العلم يستنير بهذه القواعد فيما لا يعلم.

لو قال لك قائل مثلًا: من القواعد المتقررة في أبواب الاعتقاد الأنبياء والرسلُ معصومون في التبليغ؛ هذه قاعدة ما فيها خلاف بين العلماء، نعم هناك خلاف سأبينه عندما نذكر القاعدة، لكن ليس هناك خلاف في تقرير القاعدة، الأنبياء والرسل معصومون في التبليغ وفي الرسالة.

فإذا جاءك شخص وقال لك حديث الغرانيق، وأنت لا تعرفه، ماذا تفعل؟ تقول عندي القاعدة المتقررة: أن الأنبياء والرسول -صلوات الله وسلامه عليهم- معصومون في البلاغِ وفي الرسالة وفي الأداء.

إذًا: لا يمكن أن يقع وأن ينطق بإيحاءات الشيطان، كيف انطلق؟ القاعدة، القواعد فيها فوئد أم لا؟ هذه خمس فوائد.

ننتقل إلى أمثلةٍ أخرى: الفروقات بين قواعد العقائد والقواعد الفقهية وغيرها:

لابد أن هناك فروقات ننتبه لها بين القواعد الفقهية وبين القواعد العقدية، أو بين القواعد العقدية وبين القواعد الأصولية، لابد أن هناك فروقات، فننتبه لها:

أول هذه الفروقات: قواعد العقائدِ كليات مطلقة، يعني بمعنى: ما فيها استثناءات؛ لما نقول: الشرك لا يغفره الله، يوجد شرك يمكن الله يغفره؟ لا، لما نقول: كل بدعة ضلالة، يوجد بدعة ليست بضلالة؟ لا، لما نقول: العبادة كلها لله، يوجد عبادة لغير الله يمكن؟ لا، ما فيها استثناء.

إذًا: قواعد العقائد كلها كليات مطلقة، أما القواعد الفقهية وغيرها ففيها استثناءات.

الفرق الثاني: قواعد العقائدِ إجماعِية، أما القواعد الأصولية ففي كثير منها نزاع، وإن لم يكن النزاع في أصل القاعدة ففي كثيرًا من تفريعاتها نزاع.

أما قواعد العقائد فهي مسائل إجماعية، ولذلك أن تأملنا كتابُ (أصول السنة) للإمام أحمد لوجدناها كلها من القواعد الإجماعية بين السلف، ما فيها خلاف بينهم.

ثالثًا: قواعد العقائد علمية مُرتب عليها الأمور العملية، أما القواعد الفقهية فالكلام فيها على أفعال المكلفين، والقواعد الأصولية الكلام فيها على دلالات الألفاظ؛ فهذا فرق عظيم.

يعني: القواعد في العقائد هي عبارة عن أمور علمية، يترتب على الأمور العلمية أمورٌ عملية.

مثلًا لما نقول: أن من القواعد الربوبية تستلزم الألوهية بجميعِ صورها، بجميع مفرداتها، من الرازق؟ الله، إذاً: هو المعبود، من الخالق؟ الله، إذًا: هو المعبود، من المالك؟ الله، إذًا: هو المعبود، من المتصرف؟ الله، إذًا: هو المعبود، الربوبية تستلزم الألوهية، فهذه قاعدة علمية يترتب عليها العمل.

أما القواعد الفقهية: فهي في تقعيدها منصبٌ على فعل المكلف ليس علما ليس خبرًا.

رابعًا: قواعد العقائد لا يستغني عنها أحد، ما فيها: والله أنت عامي ليس بلازم تعلم هذا، لا، الواجب على الكل أن يعلم وأن يعرف، وأن لم يعلم هذه القاعدة بلفظها الواجب عليه العمل بها.

بعض الناس إذا قلت له: إن الاعتقاد واجب على الكل أن يتعلمه وأن يعرف التوحيد، يعرف معنى "لا إله إلا الله"، يقول: أنت تكلف الناس ما لا يطيقون، والناس ما يعرفوا شروط "لا إله إلا الله".

طيب أنا أسألكم الآن سؤال: لو أنك صليت في المسجد فصلى بجوارك رجل فلما سلم سألته، قلت التحيات لله؟ قال: نعم، قلت: التحيات لله، قلت له: طيب التحيات لله هذا شرط أم ركن أم واجب؟ قال: والله ما أعرف، صلاته صحيحه أم باطلة؟ صحيحه، طيب لو قال: ما قلتها، ما حكم صلاته الآن؟ باطلة.

تأملوا الآن فنحن نقولك: إن الواجب على الكل أن يعمل وفق التطبيق العقدي، وفق المسائل العقدية، وفق العقيدة الصحيحة، كونه لا يعرف أنه شرط أو ركن ما يضره، الذي يضره أن يعمل بخلافه.

فنحن نقول: إن قواعد العقائد لا يستغني عنها أحد، أما القواعد الفقهية فهي خاصة للفقهاء والمحدثين علمًا وتطبيقًا؛ لأن تطبيق القواعد الفقهية ليست على كل الناس، ربما بعض الناس أصلاً لا يدخل في هذه القاعدة لا من قريب ولا من بعيد، لأنه ليس من أهله مثلًا.

القواعد المتقررة في باب الزكاة لا يدخل فيها الفقراء مثلًا، أما قواعد العقائد لا يستغني عنها أحد، كل مسلم هو بحاجة إليها.

خامسًا: قواعد العقائد لحفظ الإيمان والتوحيد، وأما القواعد الفقهية فلحفظ المسائل الفقهية وجمعها، والأصولية فلجمع المسائل الاستدلالية.

سادسًا: قواعد العقائدِ تُبنى عليها صحة الأعمال، وأما قواعد الأصوليين فتُبنى عليها صحة الاستدلال، والفقهية تُعلل بها الأعمال أو الأحكام.

سابعًا وأخيرًا: قواعد العقائدِ محصور في الإيمانِ والتوحيد، أما قواعد الفقه فمحصورٌ في المسائل الفقهية، وقواعد الأصولِ فمحصور في دلالات الألفاظ.

ومع وجود هذه الفروقات السبعة التي ذكرتها، فربما نجد تشابهًا بين بعض القواعد، فتذكر القاعدة مثلًا في القواعد الفقهية، وربما يكون لها ذكر في قواعد العقائد، وهذا لا بأس به.

فمثلًا الفقهاء يقولون: الأعمال بالنيات، ومن القواعد المتقررة في باب العقائد أن الأعمال بالنيات، فربما أن الإنسان ينتبه أن هذا مذكور هنا ومذكور هنا، لا بأس.

من القواعد المتقررة عند الأصوليين يقولون: لا قياس مع النص، من القواعد المتقررة عند علماء العقائد: النقل مقدمٌ على العقل، هي هي فلا بأس، لماذا؟ لأننا كلنا نعلم أن هذه الأمور كلها هي من الشرع، فهي بينها تداخل خصوصًا في بابِ الأحكام.

لعلنا نختم الحديث عن أنواع القواعد، أنواع القواعدِ في العقائد: بعد التأمل والجمع وجدت أن هذه القواعد منقسمة إلى نوعين:

القسم الأول: قواعد عامة في باب الاعتقاد.

القسم الثاني: قواعد عامة في أبواب خاصة من أبوابِ الاعتقاد.

وبعد التأمل الدقيق وأدق الدقيق وجدنا أن القواعد كلها مرجعها إلى كلمة التوحيد، القواعد كلها مرجعها إلى كلمة التوحيد: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله"، ومن هنا ندرك عظيم هذه الكلمة، كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، لأن القواعد كلها لا يُعبد إلا الله، لا يُعبد إلا بما شرع رسول الله، فقط.

حقيقة، من عمل وفق هاتين القاعدتين فوالله هو الفائز الناجي، إخلاص الدين لله، المتابعة المطلقة لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، لا يُعبد إلا الله لا يُعبد إلا بما شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ننتقل إلى مصادر القواعد في العقائد، تنقسم مصادر القواعد في العقائد من حيث المنشأ والأساس والورود إلى قسمين:

يعنى بمعنى: من أين أخذنا هذه القاعدة؟ هل هو من النص الشرعي أو من الكلام المفهوم من النص الشرعي؟ فوجدنا أن هذه القواعد منقسمة إلى قسمين:

القسم الأول: قواعد منصوص عليها بلفظها في النصِ؛ يعني: قواعد نصية، كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، قاعدة نصية، فهذا منصوصٌ عليه.

والقسم الثاني: قواعد غير منصوص عليها مفهوم من النصِ، ولهذه أيضًا أمثلة كثيرة.

إذا أراد إنسان أن يدرك أين يجد هذه القواعد؟ أين يبحث عنها؟ فأنا أذكر لك مرة أخرى المصادر التي إن رجعت إليها بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ تجد هذه القواعد، نقض الإمام الدّارميّ على بشر المريسي. والكتاب العظيم الذي دمر العقائد الفاسدة اسم على مسمى (التدمُرية)، وكتاب (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيميه، المؤلفات العقائدية للإمام محمد بن عبد الوهاب، القواعد الأربعة، فهي كلها قواعد.

الأصول الستة كلها قواعد، الأصول الثلاثة قواعد فيها قواعد، وكما ذكرت لكم مؤلف الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ (القواعد والأصول الجامعة)، ثم كتاب الشيخ البريكان (القواعد)، وكتاب الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ (القواعد المثلى)، وهناك مؤلف بعنوان (القواعد) عند ابن القيم والشنقيطي جمعه أحد المعاصرين من كلام هذين العلمين وفيه نفعُ عظيم.

هذا ما تيسر الحديث عنه اليوم إن شاء الله، على أننا إن شاء الله نبدأ في المحاضرة القادمة من حيثُ وقفنا، ونسأل الله جَلَّ وَعَلَا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح، والتوفيق والسداد، والهدى والرشاد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قواعد في الاعتقاد

المجلس الثاني

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ثبَّت العقائد بالقواعد التي أرسل بها المرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

في الأمس تحدثنا عن ما يتعلق من المقدمات بالنسبة للقواعد في علم العقائد، أو القواعد في الاعتقاد.

ونظرًا لضيق الوقت في هذه الدورة المباركة، فإني سأختصر الكلام إن لم أعتصره فاسمحوا لي على هذه الإجازة واعتبروها وجازة.

وكان في بالي أن أسير على طريقة شرح القواعد في العقائد، أن أذكر القاعدة، ثم معناها، ثم دليلها من الكتاب، ثم دليلها من السنة، ثم نقل أقوال العلماء الذين استدلوا بهذه القاعدة، ثم ذِكر مفردات ومسائل هذه القاعدة ومن خالف فيها سواء كان من أهل الكفر والشرك، أو من أهل البدع والضلال.

ولكن كما ذكرت نظرًا لضيق الوقت وكثرة القواعد فسأختصر على إشارات في هذه القواعد .

نبدأ اليوم إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بذكر القواعد العامة في الاعتقاد، هذه القواعد العامة في الاعتقاد هي قواعد مثل التمهيد لِما بعدها، وتعتبر أيضًا هي بمثابة القواعد العامة أيضًا.

وكما ذكرت في الأمس فإن القواعد كلها مرجعها إلى الشهادتين: شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ ولذلك القاعدتين أو القاعدتان اللتان مرجع القواعد إليهما هما:

القاعدة الاولى: المعبود بحق هو الله.

وهذا مدلول ما جاء به الأنبياء كلهم، بل من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، المعبود بحق هو الله، فغيره لا يستحق العبادة أيًّا كان سواء كان ملكًا أو ملكة، سواء كان نبيًا أو رسولًا، صالحًا وليًا أو طالحًا عدوًا، حيًا أو جمادًا.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، و(أَحَدًا): نكرة إذا جاءت في سياق النفي، فهي تدل على العموم.

وهذه الصيغة لا أعلم في العربية أعم منها، فهي تدل على النفي المطلق، والله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى هو المعبود.

وهذه القاعدة: المعبود بحق هو الله؛ القاعدة متضمنة لدليلها.

لماذا المعبود بحق هو الله؟ لأنه الإله، وغيره ليس بإله وإن سموه الناس إلهًا، قال الله جَلَّ وَعلا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّه﴾ [الشورى:٢١]، ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]؛ فالمعبود بحق هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ومن المسائل المهمة التي تتفرع عن هذه القاعدة العظيمة هي القواعد الأخرى.

القاعدة الثانية: لا يُعبد الله إلا بما شرع.

ومعنى القاعدة: أنه لا يُتقرب إلى الله جَلَّ وَعلا، ولا يمكن أن يُتقرب إلى الله جَلَّ وَعلا إلا بما جاء في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ أو في كلام أنبيائه -صلوات ربي وسلامه عليهم-.

فمن رام التقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ رام أن يكون عبد لله بحسب عقله أو حدسه أو خياله أو ذوقه أو وجده أيًّا كان؛ فإنه لا يمكنه أن يدرك القُرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولهذا قال الامام محمد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في كتابة العظيم (كشف الشبهات)، وفيها قواعد عظيمة نافعة.

قال: وهؤلاء الذين أُرسل إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتقربون إلى الله بالحج والصلاة والصدقات، فتأمل عندهم هذه، ومقصدهم أنهم يريدون التقرب إلى الله، ولكن التقرب إلى الله لا يكون إلا بما شرعه الله.

ولهذا في القرآن الكريم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف:٣].

تأمل مجيء كلمة الأولياء هاهنا: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أولياء: جمع ولي، والمقصود به: المحبوب الذى تكل إليه أمرك، أو تتودد إليه، وفى الآية إشارة إلى أن من لم يتبع المُنزل فإنه اتبع الأولياء، اتبع محبوبات شخصية، رغبات نفسية، عادات أُلفية ألفها وسار عليها وليس فيها أثارة من علم.

ولهذا الله جَلَّ وَعلا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤].

ما معنى (سواء)؟ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، الكلمة معروفة هي كلمة التوحيد "لا اله الا الله"، لكن ما معنى سواء؟

هذا معناه: أننا نقرأ القرآن لكن لا نفكر في معانيه، وهذه مشكلة عظيمة عند الناس ترى، ما يصير يا شباب، سواء يعني: واحد، سواء يعنى: مشترك، لا بد أن نقرأ التفسير، لذلك دائمًا علينا أن نقرأ التفاسير دائمًا.

التفسير شيء عجيب إذا مررت على التفسير مرة واحدة، ولكن بدون مرور اللئام نريد مرور الكرام؛ مرور الكرام مرور تمعن، مرور اللئام يقلب الأوراق فقط، إذا مررت على التفسير مرور الكرام فأنت ستدرك معاني القرآن، ثم كل ما تقرأ القرآن تتذكر ما تنسى علم لا يُنسى.

أفضل ما قيل في كلمة سواء في معنى سواء، أي: عدل، كلمة عدل، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، وكلمة التوحيد هو كلمة عدل وهو كلمة حق.

طيب لا يعبد الله جَلَّ وَعلا إلا بما شرع، لذلك قال الله جَلَّ وَعلا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ وهذا كلام عجيب: "أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ"، كيف نعبده؟ لذلك هذه القاعدة، **كيف نعبد الله؟**

وفى سورة الكافرون: ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:٢]، هذه واضحة أن المسلم لا يعبد الذي يعبده المشرك صحيح.

طيب: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣]، طيب المشركون يعبدون الله جَلَّ وَعلا، فلما قال الله جَلَّ وَعلا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول لهم: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾؟

أحسنت، لأنهم لم يعبدوه بما شرع فهذه ليست العبادة، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ يمكن أن يفسر ﴿مَا أَعْبُدُ﴾، أي: الذى أعبد؛ لأن عبادتهم شركية، فليست لله عَزَّ وَجَلَّ، لأن الله غنى عن شركاء وغنى عن العمل الشركي فليس العمل لله عَزَّ وَجَلَّ.

ولأنهم ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، أنتم لا تعبدون ما أعبد على الكيفية التي أنا أعبدها، إنما أنتم تعبدون الله على كيفيات سولتها لكم أنفسكم وزينتها لكم شياطينكم، ولذلك لا يُعبد الله إلا بما شرع.

فمرجع جميع القواعد في العقائد إلى هاتين القاعدتين العظيمتين، إذا كان هناك قواعد فقهية هناك قواعد كلية خمسة يسمونها في الفقه، صحيح، طيب ما هي القواعد الكلية في باب الاعتقاد؟ قاعدتان:

- لا يُعبد إلا الله، أو المعبود بحق هو الله.
- ولا يُعبد إلا بما شرع.

جميع القواعد الأخرى مرجعها إلى هاتين القاعدتين العظيمتين.

نبدأ الآن بسرد القواعد العامة في الاعتقاد:

القاعدة الاولى: لم يخلق الله عَزَّ وَجَلَّ الخلق سُدى.

الخلق عمومًا لم يخلقهم الله عَزَّ وَجَلَّ سدى، الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بيَّن في كتابه أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم بيَّن عَزَّ وَجَلَّ أنه خلق لكم ما في الأرض جميعًا.

إذًا: تأمل الآن خلق السماوات والأرض لحكمة عظيمة، خلق الأرض وما فيها لكم، طيب وخلقنا لماذا ؟

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦].

لا يمكن أن الله جَلَّ وَعلا يخلق الخلق عبثًا؛ فإذًا: السماوات والأرض مخلوقة، والله خلق الأرض وما فيها لأجل الإنسان، لأجل الثقلين الإنس والجن، وخلق الإنس والجن لأجل العبادة، خلق الملائكة لأجل العبادة.

إذًا: المخلوقات ينقسم إلى قسمين، وهذه من المسائل المندرجة تحت هذه القاعدة:

مخلوقات خلقها الله جَلَّ وَعلا لتكون مُسخَّرة للعبد، ومخلوقات خلقها الله عَزَّ وَجَلَّ ليكونوا عابدين.

ومن هنا قال بعض مشايخنا رَحِمَهُم اللهُ تَعَالَى: لماذا الله جَلَّ وَعلا يُبيد الخلق إذا لم يكن في الأرض من يعبد الله؟ كما جاء في حديث: **«لا تقوم الساعة وفى الارض من يقول لا إله الا الله»**.

وفى رواية من يقول: **«الله»**، والمعنى: "لا إله إلا الله".

لأن الله خلق ما سوى العابدين لأجل العابدين، فإذا لم يوجد عابد لله فلا يوجد حاجة لبقاء السماوات والأرض.

فهمتهم الآن يستحق السماوات والأرض ومن فيها وما فيها تستحق الفناء لعدم وجود العابدين، الله جَلَّ وَعلا خلق السماوات والأرض لأجل أن يعبد: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

وهذه القاعدة فيها رد على طوائف كثيرة، وهى من المسائل المندرجة تحتها:

-**أولًا**: فيها رد على السفسطائيين الذين يقولون: إن الخلق وجد عبثا فالله عَزَّ وَجَلَّ يقول سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الدخان:٣٨]،

هذا لا يمكن ينافي الحكمة، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، فهذا لا يمكن.

إذًا: هذه القاعدة فيها رد على هؤلاء الذين يقولون: أن الله خلق الخلق، كما يقول الكثير من المتأثرين بالعلمانيين من النصارى وغيرهم يقولون -عياذًا بالله-: إن الله خلق الخلق ثم تركه وما أراده، هذا لا يمكن! هذا لا يفعله من عنده أدنى حكمة، فكيف بالحكيم الأعلى جل في علاه وهذه القاعدة أدلتها كثيرة جدا.

والقاعدة الثانية: ضرورة الإنسان إلى العقيدة الصحيحة.

كل أنسان فهو محتاج للعقيدة، وهذه العقيدة لابد أن تكون صحيحة، لأنها إذا لم تكن صحيحة فهي لا تُنجي، وهذه القاعدة أيضًا أدلتها كثيرة.

فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بيَّن العقائد الفاسدة الباطلة وأنها لا تنفع عنده سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، ولهذا قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة:٧٢]، قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[المائدة:٧٣].

والله جَلَّ وَعلا كفر المشركين وغيرهم لأجل أنهم يعتقدون اعتقادات فاسدة، فالإنسان محتاج ضرورة إلى العقيدة الصحيحة.

حتى قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "أشد من حاجته للطعام والشراب".

الإنسان بحاجة إلى الإيمان الصحيح أشد من حاجته للطعام والشراب؛ لأن حاجته للطعام والشراب نفسه وبدنه، وأما العقيدة الصحيحة؛ ففيها أو معها بقاء حياته الأبدية حياة صحيحة.

فالنجاة موكول بالعقيدة الصحيحة، فإذا علم الإنسان أنه مضطر اضطرارًا إلى العقيدة الصحيحة فإنه سيبحث عنها.

طيب ما نوع هذه الضرورة؟ هل هي ضرورة ملجئه يلجأ إليها الإنسان، أم هي ضرورة فرضية؟ لا، هي ضرورة ليست مُلجئه، الناس كثيرين لا يهتمون بها، هي ضرورة

فرضية فرضها الله جَلَّ وَعلا عليك، أن تبحث عن العقيدة الصحيحة، وأن تنظر أين العقيدة الصحيحة.

ولهذا الله جَلَّ وَعلا ذكر لنا قصة مناظرة إبراهيم مع النمرود؛ فلما رأى الكوكب، فلما رأى الشمس، فلما رأى القمر، فلما رأى الشمس، فلما أفلت قال: لا أحب الآفلين.

تأمل هذا يدلك على أنه يبغى للإنسان أن يبحث عن العقيدة الصحيحة، كم يبحث أحدنا عن أشياء وهى ليست من الضروريات، فكيف بالعقيدة التي بها النجاة؟! هذا أمر واجب على كل صاحب نِحلة عقيدة أن ينظر في عقيدته يتأمل الإنسان -سبحان الله-.

هناك من يعبد الفئران، كيف تكون هذه عقيدة صحيحة؟ هناك من يعبد الإنسان كيف تكون هذه العقيدة صحيحة؟ أنت كيف ترضى لنفسك أن تسجد لمخلوق مثلك؟! كيف ترضى لنفسك أن تجعل قلبك خائفا راجيًا راغبًا راهبًا من مخلوق مثلك؟!

الإنسان ينبغي أن ينظر يتأمل؛ ولذلك الله جَلَّ وَعلا حرك هذه المسألة في قلوب المشركين فقال جَلَّ وَعلا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢].

تأمل هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:٨٨]، حتى يبحث عن العقائد الصحيحة، المسألة ليست مسألة وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثرهم مقتدون أو مهتدون، لا، المسألة مسألة البحث عن العقيدة الصحيحة.

القاعدة الثالثة: كل مولود يولد على الفطرة.

وهذه القاعدة دليلها من الكتاب ومن السنة؛ من الكتاب قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم:٣٠]، قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[الروم:٣٠]، جملة: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، راجع إلى الفطرة؛ أي بمعنى: كل مولود يولد على الفطرة.

وهذا المعنى منصوص قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ».

فهذا تأكيد واضح، «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ»، هذا في الحديث؛ فكل مولود يولد على الفطرة.

وهذا فيه دلالة على أن الله جَلَّ وَعلا خلق الإنسان سليمًا؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ»، جمعاء يعني: كامل، «هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، فيها نقص يعني: فيها أذن مقصوصة، أنف مشقوق أو شفة مخرومة؟ لا، «أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا»، هكذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا من الذى يُغير الفطر؟ أنتم، ولهذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، ولم يقل -صلوت ربي وسلامه عليه- أو يمسلمانه لأنه الأصل.

ومن مسائل هذه القاعدة التي أختلف فيها العلماء: هل المقصود بالفطرة الإسلام أو المقصود بالفطرة مطلق الإقرار بالربوبية؟

هذا فيه خلاف بين العلماء في التفسير، ولكنا نقول: إن الآية والحديث فيها دلالة على أن الإنسان يولد وهو على الفطرة التي هي الإسلام، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل: أو يمسلمانه، وليس المقصود أنه قابل لأن يكون مسلمًا، ليس هذا المراد كما فهمه بعض شراح الأحاديث.

لا، إنما المقصود: أنه يولد وفى قلبه الإسلام، في قلبه الإقرار بالتوحيد، في قلبه الإقرار بالربوبية، في قلبه أن ربه عظيم، له الأسماء والصفات هذه موجودة في قلبه.

من الذى يُغير هذه الفطرة؟ أبواه، وهذا فيه رد على نظرية (داروين) وجماعته الذين يقولون: بأن الأصل في الإنسان عدم التدين، وأن الإنسان نشأ وتطور، ثم لما تطور وأصبح ذا فكر بحث عن الدين، وهذا الكلام من أصله وفصله بعجره وبجره باطل، لا دليل عليه.

نعرف العجر، طيب، ما هو البجر؟ ما تعرفون العجر والبجر؟ إذًا: ابحثوا عنها.

فهذا القول الذي قاله داروين وجماعته لا يمكن قبوله بحال من الأحوال، لا من حيث الواقع العلمي، ولا من حيث الواقع التاريخي، ولا من حيث النص الشرعي، فكل الأديان على أن آدم هو أبو البشر، وآدم نبي في جميع الديانات، اليهود يقرون بنبوته، والنصارى يقرون بنبوته، والمسلمون مقرون بنبوته.

إذًا: آدم عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم نبي وهو أبو الأنبياء، فكيف يكون أبناء النبي؟ على دينه.

ولذلك قال ابن عباس كما ذكر ذلك البخاري وغيره معلقًا قال: (كان الناس على دين أبيهم آدم عشرة قرون، ثم ظهر الشرك فيهم في قوم نوح -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام-).

إذًا: أصل الإسلام على الفطرة، وفيه حب التدين، هذا موجود، وليس أن هذه نشأت وتطورت، هذا كلام لا يقوله أحد.

القاعدة الرابعة: إرسال الرسل وإنزال الكتب ضرورة شرعية وعقلية.

لا يمكن أن الله جَلَّ وَعلا يخلق الخلق ويتركهم لأهوائهم، فمن الناحية العقلية يدرك الإنسان أنه ما من صانع يصنع شيئًا ألا ويضع له منهاجًا يسير عليه، حتى يصلح في عمله، هذه من الضرورات العقلية.

فالذي يصنع السيارة يضع في السيارة كتالوج لكيفية استخدام هذه السيارة، والذي يصنع الهاتف يضع معه كُتيب لاستخدام هذا الهاتف، حتى تستخدمه استخدامًا صحيحًا فلا يتلف.

من الناحية العقلية كل إنسان يُدرك أنه ما من صانع إلا ويضع لمصنوعه منهاجًا يسير عليه حتى يكون في صنعته تامًا.

إذًا: إرسال الرسل وإنزال الكتب ضرورة عقلية، وهى ضرورة شرعية؛ ولذلك نجد أن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب.

لماذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؟

لأن حاجة الإنسان إلى هذا حاجة ضرورية، وأدلة الشرع على هذا، ولهذا قال جَلَّ وَعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل:٣٦]، كل أمة جاءها رسول ما يمكن أن نقول: والله يوجد أمة مرت وما جاءهم رسول، أبدًا هذا لا يمكن.

ولهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأله أبو ذر: كم عدد الأنبياء؟ قال: «مائة وأربعة وعشرون ألف نبي»، قال: كم عدد الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاثمائة وأربعة وعشرون رسولًا».

فتأمل معي أو على ما جاء في الحديث، تأمل معي هذا الحديث كم عدد الأنبياء والرسل؟ كُثُر، ويدرك الإنسان أن هذه المسالة مسألة محتومة.

ومن مفردات هذه القاعدة: أن الرسول والكتاب الذى يجيء به الرسول لابد أن يكون سادًا كافيًا لهذه الضرورات، وهذا سيأتي بيانه في تقرير القواعد المتعلقة بالرسل والكتب.

القاعدة الخامسة: قيام الحُجة شرط في المؤاخذة.

وهذا جاء نصه في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ [النساء:١٦٥].

إذًا: تأملوا هذه الآية فيها بيان أن الله جَلَّ وَعلا يرسل الرسل دفعًا لعذر من سيعتذر، ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة:١٩].

فالله جَلَّ وَعلا يُرسل الرسل ويُنزل الكتب لأجل أن يقيم الحجة على الخلق؛ ولهذا الله جَلَّ وَعلا أقام الحجة على الخلق بأنبيائه ورسله، أقام الحجة على الخلق بكتبه، وقال الله جَلَّ وَعلا عن القرآن: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة:١٥]، هذا كتاب من الله جَلَّ وَعلا.

فينبغي على الإنسان أن ينتبه أن الحجة قائمة، وهذه القاعدة قاعدة قيام الحجة شرط في المؤاخذة، لا خلاف فيها بين أهل السنة والجماعة كما يتوهمه بعض المتوهمين، وإنما الخلاف ما الذى يقوم به الحجة؟

فجمع من العلماء قديمًا وحديثًا يقولون: أن القرآن الحجة قائمة به، فكون الإنسان وصله القرآن فإن الحجة قائمة عليه، وصله خبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجة قائمة عليه.

وجمع من أهل العلم يقولون: إن فهم الحجة فهمًا يدرك مراد الله فيه، هذا هو الذى تقوم به الحجة.

إذًا: كون الحجة شرط قيام الحجة شرط في المؤاخذة هذا لا خلاف فيه بين أهل العلم، وإنما الخلاف فيما تقوم به الحجة.

فالشيخ ابن الباز رحمة الله عليه على سبيل المثال لما سُئل عن الناس الذين يدعون غير الله عَزَّ وَجَلَّ قال: الحجة قائمة عليهم أليسوا يقرأون القرآن ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥].

تأمل معي الآن شخص يقرأ القرآن صباحًا ومساءًا، ثم يأتي عند هذه الآية ويقرأها: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾، وإذا أراد أن يقوم يقول: يا سيدي يا جيلاني مدد، أو يقول -عياذًا بالله-: يا بدوي المدد! يستغيث بغير الله عَزَّ وَجَلَّ أو يتوكل بغير الله عَزَّ وَجَلَّ.

يسمع أو يقرأ أو يحفظ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، ثم ينحر للقبور، وينذر لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، يقرأ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، ثم يسجد للقبر.

فالمسألة لابد أن ندرك أن مسألة قيام الحجة ليست مسألة خلافية، إنما الخلافية ما به تقوم الحجة.

وهذه مسألة أيضًا ينبغي لنا أن ننظر بها لأن الله جَلَّ وَعلا رفع المؤاخذة مع عدم وجود قيام الحجة، وأقام وبيَّن وأخبر أنه يؤاخذ بعد قيام الحجة، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص:٥٩].

إذًا: يُبين ويقيم عليهم الحجج، فإذًا: الجلوس في الشمس يا شيخنا في نهي عنه يقولون: إنها مجالس الشياطين، نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجلس الإنسان ونصفة في الشمس ونصفة في الظل.

القاعدة السادسة: صحة الاعتقاد مبناه على الإخلاص والمتابعة.

وهذه القاعدة فيها بيان أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار لعدم وجود الإخلاص عندهم، وفيها بيان أن الله جَلَّ وَعلا لم يقبل عبادات المشركين لعدم وجود المتابعة عندهم، حتى العبادات التي يفعلونها لله خالصة هي مردودة عليهم، لأنهم لم يتابعوا الرسل، فصحة الاعتقاد مبناه على الإخلاص والمتابعة.

وهذه القاعدة مرجعها إلى القاعدتين اللتين ذكرناهما، وهذه القاعدة مدلول شهادة أن لا اله الا الله، وأن محمدًا رسول الله.

القاعدة السابعة: الأسماء التي رُبطت النجاة بها ذات مدلولات واحدة وإن ترادفت معانيها أو تقاربت.

وهذه القاعدة مرجعها إلى الإيمان، الإسلام، التوحيد، الإحسان، السنة، الشريعة، هذه المسميات رُبطت النجاة بها؛ فالنجاة مربوط بالإيمان، مربوط بالإحسان، مربوط بالتقوى، مربوط بالإسلام، مربوط بالتوحيد، مربوط بالسنة، النجاة مربوط بهذه الأسماء التي وردت في الكتاب والسنة، هذه الأسماء التي وردت في الكتاب والسنة والنجاة مربوط بهذه الأسماء، فنحن ندرك أنها ذات مدلولات مترادفة وإن كان بينها تقارب في المعنى.

ولما نقول: مترادفة، فالمراد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: أنها في حال الانفراد تتضمن معاني الكلمات الأخرى، فلما يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

طيب والمحسن كذلك، طيب والمتقي كذلك، فدخل كلمة المتقي والمحسن والسابق بالخيرات دخلًا، والمتبع للسنة المتبع للشرع دخل في كلمة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ولما قال الله جَلَّ وَعلا عن المتقين: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبأ:٣١-٣٢].

طيب والمؤمن؟ المؤمن كذلك، فهذه الأسماء التي ربطت النجاة بها إذا ذكرت أحدها فبقيتها داخلة فيها ضمنًا، ولكن إذا ذكرت معًا فكل واحدة لها مدلول خاص.

مثل قوله جَلَّ وَعلا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]....إلخ الآية، فهنا ذكرت معًا، فكل واحدة لها مدلولات خاصة، فهذه قاعدة عظيمة ينتفع بها طالب العلم.

ونبه على هذا شيخ الاسلام ابن تيميه وابن القيم وغيرهما من أهل العلم؛ ولذلك لما تسمع كلمة السنة، التوحيد، الإيمان؛ هذه أسماء ذات دلالات مختلفة لكن مدلولها واحد والمقصود بها الدين الصحيح، العقيدة المنجية.

القاعدة الثامنة: موضوعات العقيدة أساسيات دينية.

هذه لابد أن ندركها أن موضوعات العقيدة ومسائل العقيدة أساسيات دينية، فالمسائل القلبية والمسائل القولية والمسائل العملية كلها هذه الموضوعات العقدية، كلها أساسيات للدين.

فموضوعات ومسائل الاعتقاد كلها أساسيات، بخلاف مسائل الفقه، فلا يستطيع الإنسان أن يقول: أن مسائل الفقه كلها أساسيات، لا، موضوعات العقائد -كما نبهت عليها في الأمس وأكرر اليوم- لا يمكن لأحد أن يقول: أنا أعتقد هذه الأشياء كلها إلا هذه الجزئية ما أعتقدها من مسائل الاعتقاد، نقول له: لا، مسائل الاعتقاد لا بد منها كلها، لأن كلها أساسيات.

لكن أنت تقول: أنا ما أزكى لأني فقير، كيف فقير ما عليك زكاة، تقول أنا لا أحج لأن ما عندي ما أحج به، نقول: هذا راجع لك، أما مسائل الاعتقاد، لا، كلها أساسيات دينية لا بد من تعلمها واعتقادها والعمل بمقتضاها.

القاعدة التاسعة: مصدر الاعتقاد النص والإجماع.

العلماء يقولون في الفقه مصادر الفقه يقولون: الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستحسان و و ...إلخ، يضعون له هناك مصادر أصلية ومصادر ثانوية صحيح.

أما في الاعتقاد؛ فما عندنا هذا الكلام هذا، عندنا شيء واحد مصادر الاعتقاد، إما النص وإما الإجماع، والإجماع هو في الواقع نص.

فالنص نعني به: النص من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ أو النص من أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النص من كلام الله أو النص من كلام رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونعني بالإجماع إجماع السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، أما إجماع من بعدهم فلا حجة فيها، ولا إجماع أهل الأرض، لو انطبق أهل الأرض كلهم هل فيها عبرة؟ ما فيها عبرة.

يعني لو نظرنا إلى الواقع نجد من الأكثر أهل الشرك أم أهل التوحيد؟ أهل الشرك؛ لأن العالم اليوم مثلًا خمس مليارات وأكثر قليلًا، المسلمون يقولون: مليار، طيب وأربعة مليارات؟

ليسوا على الإسلام على الشرك، هم كلهم على الشرك بغض النظر عن ما يعبدون، فهذا يعبد عيسى، هذا يعبد عزير، هذا يعبد موسى، هذا يعبد الشجر، هذا يعبد الحجر، هذا يعبد بوذا، هذا يعبد الشمس، هذا يعبد كذا، كل أحد عنده معبود مع الله.

فكونهم أكثر واتفقوا على الشرك لا يعنى أن الشرك هو الصواب أبدًا؛ فلذلك لما نقول: أن مصادر الاعتقاد النص والإجماع؛ فهذا لأن الله جَلَّ وَعلا أمرنا بهذا؛ أمرنا بأن نتبع النص وأن نتبع الإجماع، أما إتباعنا للنص فهذا واضح والأدلة عليها كثيرة جدًا.

طيب ما هو الدليل على وجوب الإتباع للإجماع في الاعتقاد؟

تأمل معي الآن أن الله عَزَّ وَجَلَّ لما ادعى المنافقون الإيمان ماذا قالوا؟ ﴿قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤]، صحيح، طيب هؤلاء أدعوا الإيمان، ماذا قال الله لهم؟ ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة:١٣]، هذا الإيمان الذى تدعونه ما نريده، ما الإيمان الذى يريده الله ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾.

إذًا: عندنا إيمان، وعندنا إيمان الناس، وعندنا التشبيه، الله يريد من هؤلاء المنافقين الذين ادعوا الإيمان أن يؤمنوا كإيمان الناس، ومن المراد بالناس؟ الصحابة -رضوان الله عليهم-.

إذًا: فيه دلالة على وجوب الإتباع في الإجماع في الاعتقاد، ومما يؤكد هذا المعنى ما جاء أيضًا في ادعاء إيمان اليهود.

اليهود ادعوا الإيمان أم ما ادعوا؟ والنصارى ادعوا الإيمان؟ ادعوا اليهود الإيمان والنصارى ادعوا قالوا: نحن مؤمنون.

ولذلك الله جَلَّ وَعلا قال: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة:١٣٧] تأمل الآية ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، قال ما آمنتم ولا قال ما آمنت؟ ضمير ميم الجمع، ميم الجمع يدل على واحد أم على أكثر من واحد؟

إذًا: دليل على أن المقصود إيمان الصحابة إجماعهم حجة، وقوله جَلَّ وَعلا: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

والأمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ له كلام جميل جدًا وهو أول من فتق الله لسانه وسهل بنانه في أن رسم الكلام حول هذه الآية في الاستدلال على حجية الإجماع، فالآية فيها بيان حجية الإجماع والدلالة فيها ظاهرة.

إذًا نقول في القاعدة التاسعة: إن مصدر الاعتقاد النص أو الإجماع، ومن هنا ندرك أن ما يقوله بعض الطوائف أن العقل مصدر في الاعتقاد، بل -وكما سيأتي- يقدمون عقولهم

على النقل، أو من يقول الذوق مصدر الاعتقاد، أو من يقول الوجد، أو يقول الجمهور، أو يقول المعصوم، الإمام المعصوم حجة، لا، هذا ليس بصحيح.

ليس أحد قوله حجة في باب الاعتقاد كفرد إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس أحد قوله حجة كمجموعة إلا الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم-، فإجماع الصحابة في هذا الباب هو الحجة.

طيب سؤال مهم جدا: هل يمكن تصور الإجماع بعد زمن الصحابة في مسائل الاعتقاد؟

الجواب: لا، لأن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا على العقيدة مُجمعون حتى ظهرت الفرق والاختلافات.

ومن هنا ندرك سبب تسميتهم بالجماعة، سموا بالجماعة؛ لأنهم كانوا على عقيدة واحدة، والمخالفون كانوا يسمونهم بأهل الفُرقة، ثم لما ظهر أهل البدع الأخرى المنكرين للسنة تسمى أهل الجماعة بأهل السنة والجماعة، وأولئك كانوا يسمون بأهل الفرقة وأهل الأهواء ويسمون بأهل البدع لأنهم لا يرون حدية السنة.

إذًا نقول: إنه ليس هناك قول أحد حجة، لا من يسمى بالمعصوم ولا من يسمى بالولي، فضلًا عن ما يدعيه البعض أن الولي الفلاني انكشف له الغيب فاطلع على كذا وكذا؛ فهذا كله من البدع والضلالة.

فمصادر الاعتقاد النص والإجماع، ما عندنا شيء آخر البتة النص والإجماع، ما تكلم الله عَزَّ وَجَلَّ به في هذا الباب نقول به، وما تكلم به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقول به، وما لم يأتي الكلام فيه عن الله ورسوله فإننا ننظر في المعنى، فإن كان المعنى صحيحًا موافقًا للكتاب والسنة قلنا بالمعنى وتركنا اللفظ، وإذا كان اللفظ غير موجود ولا مورود في الكتاب والسنة تركنا اللفظ وتركنا ورود هذا الباب على الإطلاق.

القاعدة العاشرة: أن النقل مُقدم على العقل.

أهل السنة والجماعة وإن قالوا: إن العقل ليس مصدرًا من مصادر الاعتقاد، إلا أنهم لا يلغون العقل.

ولذلك هم يقولون وهذه قاعده نبه عليها شيخ الاسلام في درء التعارض: أنه لا يمكن للنقل الصحيح أن يكون مخالفا للعقل الصريح، ولا يمكن أن يكون العقل الصريح مخالفًا للنقل الصحيح.

فإذًا: لا يمكن أن يأتي إنسان ويقول: عقلي يخالف هذه الآية، نقول له: البلاء في عقلك، الجرثومة في عقلك، تلوث عقلك فظننت أنه مخالف لهذه الآية، ولا يمكن لإنسان أن يقول: أن هذا الحديث لا يقبله عقلي إلا في حالتين: إما أن يكون الحديث غير صحيح، وإما أن يكون عقله مريض أو فاسد.

ودائمًا أقول: إن مثل أهل البدع في نظرهم إلى نصوص الكتاب والسنة كرجل أصيب بعور فيرى الأشياء معوجة لو تأتي له عمود قائم على زاوية تسعين ينظر إليه فيراه معوجة، العيب في الزاوية في العمود أم في عينيه؟ في عينيه.

فأهل البدع هذا حالهم لو تأتي له عشرين آية أن الله في العلو هو ينظر إليها نظرة معوجة ما يفهم، يظنها مخالفة لأمور في عقله الفاسد الكاسد؛ لأن العقل عنده تلوث بجرثومة الكلام، والعقل إذا تلوث بجرثومة الكلام يصاب الإنسان بالانفصام؛ الانفصام عن الكتاب والسنة.

يعتقد المسيكين أن النقل ليس كافيًا في باب الاعتقاد، ليس هذا فحسب بل يعتقد أن العقل مقدم على النقل، ولذلك هذه قاعدة عظيمة: النقل مقدم على العقل في باب الاعتقادات مطلقًا.

ما في كلام بل وهذه يعني إن لم يكن من تخصصنا أن نقول: أن النقل مقدم على القياس حتى في باب الاعتقاد، ولهذا في باب الفقه لذلك الفقهاء يقولون: لا اجتهاد مع النص، وبعضهم يصيغ القاعدة فيقول: لا قياس مع النص.

إذًا: حتى الفقهاء اتفقوا معنا على هذه القاعدة، أنه لا يمكن الاجتهاد مع النص أيضًا.

القاعدة الحادية عشر: علم الكلام مذموم مطلقًا.

وما الذى يجعله مذمومًا مطلقًا؟

أولًا: أن الله جَلَّ وَعلا أمرنا أن نتبع المُنزل ولم يُحلنا إلى عقولنا، ولا إلى عقول غيرنا كعلم الكلام، كقول علماء الكلام، ما علمه جَلَّ وَعلا بوجود الكلام من علماء الكلام، فلما لم يحلنا علمنا أنه ليس يمكن الرجوع إليه البتة، أما كونه مذموم فمرجع ذلك إلى أمرين:

الأمر الأول: أن علم الكلام يتحدث في الغيبيات بالقياسات، وهذا لا يمكن أن يكون صوابًا البتة.

ولنضرب الآن مثالًا واقعيًا إن شاء الله لا تنسونه أبدًا: الآن في يدي شيء، أنتم الآن هذا غيب بالنسبة لكم، نسبي غيب نسبي فضلًا عن الغيب المطلق، مهما ستقيسونه في عقولكم عما في يدي لا تستطيعون إدراكه، إنما هي قياسات قد تكون خيالات، وأنتم الآن أكثر من مائة ولا نجد واحدًا في المية صوابا، لماذا؟

لأنه إنما كل واحد سيقيس الأمر على ما في خياله، على ما في عقله، فلم يكون الأمر صوابًا.

من يعرف ما في يدي؟ والله في يدي زنجبيل ما كان أحد منكم يتوقع، أتحدى أحد منكم وقع في خياله هذا الكلام.

إذًا نحن نقول: أن علم الكلام مذمومًا من جهتين:

الجهة الاولى: أنهم أدخلوا في الغيبيات العقول على سبيل المقايسات، وهذا لا يمكن أن يكون إلا خيالات وتوهمات وترهات.

الأمر الثاني وهذا أيضًا مهم جدًا: أن علماء السلف قاطبة ممن أدركوا علم الكلام ذموه، كلهم ذموا علم الكلام، لا نجد أحد من علماء السلف ممن أدركوا ترجمة كتب علم الكلام إلى العربية مَن مدحه.

طبعًا علم الكلام سواء كان من علماء المنطق اليوناني، أو المنطق الهندي، أو المنطق الفارسي، كله ترجم في أيام المأمون ووضع في دار الحكمة وظنه الناس أن فيها منافع، وإنما كان فيها تفرقة المسلمين، نسأل الله السلامة والعافية.

يعنى: هذه الكتب لو لم تترجم لكانت الريادة والسيادة إلى الآن للمسلمين، ولكنهم أدركوا أنها لو تُرجمت إلى العربية فإنها تفسد عقول العرب وعقول المسلمين، نسال الله العافية، كما أفسدت عقول أهلها وفرقتهم شذر مذر.

ننتقل إلى قاعدة أخرى

القاعدة الثانية عشر: سلامة منهج الاستدلال مرجعه فهم الصحابة.

وهذه القاعدة واضحة لمن أعطاه الله جَلَّ وَعلا بصيرة، فإن الصحابة -رضوان الله عليهم- عاشروا التنزيل وعلموا التفسير، فهم أولى بالإتباع عن من بعدهم.

تأمل معي الآن إذا جاء شخص وقال في آية من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، قال: علا وارتفع، مثل ما جاء عن ابن عباس ومجاهد وكل المفسرين من الصحابة والتابعين فسروه بهذا التفسير، إلى أن كان القرن الرابع الهجري فجاء شخص فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، قال: استولى.

فتأمل معي الآن أين نرجع إذا أردنا سلامة لاستدلالنا سلامة لمنهج الاستدلال؛ فسبيله وطريقه فَهْم الصحابة -رضوان الله عليهم-.

وهاهنا مسألة مهمه جدًا: أن ندرك أن منهج النبوة ليس منتسبًا إلى شخص، وليس منتسبًا إلى طائفة، وليس منتسبًا إلى ردود أفعال، وليس منتسبًا إلى المقالات، إنما المنهج الصحيح في الاستدلال منتسب إلى تلامذة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك لما يسمى أهل السنة والجماعة بالسلفيين نسبة إلى أهل السلف الصالح، والعبرة ليس بالاسم، العبر بمضمون الاسم، ربما رجل يسمى نفسه سلفيًا وهو تلفيًا هذا يحصل، العبرة ليست بالأسماء، العبرة بالأسماء مع المسميات، أنت تريد أن تكون على

منهج السلف الصالح؛ إذًا: لابد ان تكون متبع لهم، أما أن تدعي الاسم ثم تخالفهم في المعنى، فهذا غير كاف.

ولهذا ننتبه إلى هذه القضية المهمة: سلامة منهج الاستدلال مرجعه فهم الصحابة، وهذه القاعدة إذا حفظتها والله لا يستطيع أحد أن يقف أمامك من أهل الأهواء والبدع.

إذا قال لك شخص: يا أخي الولي الفلاني جعل الله له مقامًا فأنا أطلب منه، قل له: أليس أبو بكر وعثمان وعمر أولياء لله؟ ماذا سيقول؟ بلى، لا بد أن يقول: بلى، إذا كان المنتسب إلى أهل السنة من حيث العموم، قل له: طيب مِن مَن الصحابة استغاث بأبو بكر وعمر وعثمان وعلي بعد موتهم؟

سلامتك متوقفة على منهج استدلالك، إذا جعلت منهج استدلالك فهم الصحابة لا يستطيع أحد أن يغلبك أبدًا، وهذا سلاح قوي في الاستدلال ينبغي للإنسان أن يأخذه وأن يتأمل فيه.

القاعدة الثالثة عشر: قيام العقائد على الثوابت.

بمعنى: أن مسائل الاعتقاد غير قابلة للتغيير؛ ما يصير نقول: هذا كان شركًا في زمن نوح وليس شركًا في زمن موسى، لا يمكن، مسائل الاعتقاد مبناها على الثوابت، قيام العقائد على الثوابت التي لا تتغير.

فالتوحيد توحيد في زمن آدم ونوح إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشرك شرك، انتبه يجب على الأولين أن يؤمنوا بالملائكة، يجب على الآخرين أن يؤمنوا بالملائكة، يجب على الأولين أن يؤمنوا بالبعث، يجب على الآخرين أن يؤمنوا بالبعث.

ومن هنا تدرك لو سألك سائل: يا أخي لماذا موسى حذر قومه من المسيح الدجال وهو لن يخرج إلا في آخر الزمان؟

فهمت الآن لماذا حذر، لماذا؟ لأن من مسائل الإيمان لا بد أن يعتقد، فهمت الآن أم ما فهمت؟ جواب سهل جدًا.

أنا أتعجب مره سُئل أحد الناس وإذا به يتفلسف، أخذ نصف صفحة و ما رأيت الجواب، ما فيها جواب! لأن مسائل الاعتقاد قائمٌ على الثوابت، فما يجب اعتقاده على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو نفسه ما يجب اعتقاده على الأمم السابقة.

ولذلك تأمل معي أن الأمم السابقة الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧]، نفس الميثاق كتب علينا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأنعام:١٧٢]، فتأمل معي المواثيق هي المواثيق.

كذلك الله جَلَّ وَعلا ما أرسل من رسول إلا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا، وليس هذا فقط بل وأعلمهم بأوصاف أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابة على وجه الخصوص.

أنت تؤمن بأن الصحابة هم خيار الأمة، واتباع موسى ماذا كانوا يؤمنون؟ بأن الصحابة خيار، ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

انظر لماذا الله ذكرهم؟ هم ما يدركون هذا الزمن، لماذا الله ذكرهم؟ ليجب عليهم هذا الشيء، أنت يجب عليك أن تؤمن بأن أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تلامذة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم خيار الأمة، ذلك كان واجبًا على أتباع عيسى قال: ذلك مثلهم في الإنجيل.

فهمنا الآن، مسائل الاعتقاد مسائل ثابتة ما فيها تغير، فيجب على الكل أن يؤمن بأن البعث، بأن نعيم القبر، بعذاب القبر بكذا بكذا بكذا.

وهنا يرد سؤال تحت هذه القاعدة فإن قال قائل: السجود لغير الله شرك فكيف جاز سجود إخوة يوسف ليوسف؟ لما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]، نقول: انتبه السجود نوعان:

- سجود تعبدٍ، فهذا شرك في ديننا وفي دينهم.
- وسجود احترام، كان جائزًا في دينهم وفي ديننا هو محرم، وهو من جنس الشرك.

انتبه، هو محرم وإذا أراد به التقرب إلى المسجود له فهو من جنس الشرك، ففرق بين أن نقول: أن السجود لغير الله شرك، نعم، السجود لغير الله شرك في ديننا وفى دين من سبقنا وفى دين آدم عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام.

ولهذا كل المفسرين يقولون في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الكهف:٥٠]، قالوا: السجود احترام، ليس السجود عبادة؛ ولذلك من أفضل ما قيل: إن السجود وقعت صورته لآدم حقيقته لله عَزَّ وَجَلَّ.

كيف من الذى أمره بالسجود؟ الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، ولذلك يقول بعضهم: إن هذا السجود أشبه ما يكون بسجود الاحترام والتقدير، كما جاء ذلك نصًا عن الصحابة.

فالذبح لغير الله مُحرم في ديننا وشرك، وهو محرم في دين من سبقنا وشرك، قواعد مسائل الاعتقادات قائم على الثوابت.

ولهذا لا يمكن أن نقول: هذه لا نغيرها. اليوم يجوز الخروج على الحكام وغدًا لا يجوز الخروج على الحكام، هذا ليس من ديننا، هذا ما يمكن أن يكون صحيح.

اليوم الأعمال من مسمى الإيمان، وغدًا الأعمال ليس من مسمى الإيمان، هذا غير ممكن، هذا غير مقبول هذا موجود في دين من؟ هذا موجود في دين المبدلين من المشركين ومن المبتدعين، كيف؟

سأضرب لكم الآن مثال: قبل مائة وعشرين سنة تقريبًا، من سنة ثلاثمائة وعشرين ميلادي، الذي هو مجمع المسكون الأول إلى قبل مائة وعشرين سنة، يعني: قرابة تقريبًا ألف وسبعمائة سنة، والنصارى كلهم يعتقدون -عياذًا بالله- أن اليهود أيديهم متلطخة بدم المسيح، كلهم يتوارثه الآخر عن الأول ويعتقدونه اعتقادًا؛ ولذلك كانوا يعادون اليهود.

إلى أن جاء الباباوات فاجتمعوا على أن اليهود بريؤون من دم عيسى، تغيرت العقيدة أم بقيت؟ تغيرت العقيدة.

إلى سنة ثلاثمائة وعشرين الذي هو مجمع المسكون الأول، كان النصارى أبغض شيء إليهم الصليب، لماذا؟

لأنهم في ظنهم أن الذى صُلب عليه عيسى هو هذه الخشبة؛ فلذلك كانوا يكرهون الصليب.

وكما يقول ابن القيم: هذا هو الواجب عليهم لو صح هذا الأمر.

ثم بعد ذلك أصبح الصليب مقدسًا عندهم، تغيرت العقيدة أم ما تغيرت؟ تغيرت العقيدة.

وهكذا عند أهل البدع العقائد تتغير، كيف العقائد تتغير؟ نعم تتغير عندهم وتتبدل، كل يوم تتغير وتتبدل.

ولذلك لو تتأمل تجد أن الورد الشاذلي غير الورد الدسوقي، والورد النقشبندي غير الورد الششتي، الورد الششتي غير الورد كذا، لماذا تغيرت العقائد؟ هذه عقائد الآن في التقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

مثلًا يقولون: إن الإمام الثاني عشر يجب أن يعتقد الإنسان فيه أنه اختفي في السرداب وأنه سيرجع، هذه العقيدة الضالة نسألهم سؤالًا ائتوا لنا بنص واحد عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أو عن الحسن أو عن الحسين أو عن من بعدهم؟

لا يجدون لذلك نصًا أبدًا، طيب ماذا كانوا يعتقدون؟ سؤال مهم جدًا، إلى نهاية القرن الثالث الهجري ما كان أحد يضرب نفسه بكاءً على الحسين، لماذا الآن تضربون أنفسكم؟ سؤال مهم جدًا، تغيرت العقائد الآن.

لما١١ الحسين لم يضرب نفسه لموت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لماذا الحسين لم يضرب نفسه لموت أبيه علي مقتولًا شهيدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؟ لماذا لم يضرب الحسين نفسه لموت أخيه الحسن وقد مات مسمومًا على ما ذكر في كتب التاريخ؟

إذًا: العقائد عندهم متغيرة، أما نحن أهل السنة والجماعة عندهم أن العقائد مبناها الثوابت، كل مسائل الاعتقاد مبناها على الثوابت ما تغيرت.

نضرب مثال مثلًا؛ الذين حرموا الخروج على علي بن أبي طالب ودمروا الخوارج، ثم استمرت هذه العقيدة على ما وقع من ظلم بعض بني أمية خصوصا المتأخرين منهم على الأمة، ما خرج أحد من علماء أهل السنة وقال: الخروج عليهم جائز، ما خرج أحد.

ثم جاء بنوا العباس واستولوا على الحكم، ثم في القرون المتأخرة كانوا موجودين بالاسم والحكم لغيرهم، ومع ذلك ما وجد أحد يُجوِّز الخروج على ولاة الجور؛ فعقائد السنة والجماعة عقائد مبناها على الثوابت.

طيب نقف عند هذا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

يوجد سؤال خاص لأخواتنا طالبات العلم، إذا الواحدة تعرف إجابتها تبلغ المسئولة عن الإجابة، ولعلها أن تحصل جائزة مع كتابة اسمها على الورقة.

السؤال عن درس الأمس: القواعد من حيث الصياغة منقسمة إلى قسمين، أذكري القسمين؟ -هذا سؤال خاص بأخواتكم-.

سؤال شفوي: جاء في ضمن الكلام شذز مذر، ما معنى مذر؟

الطالب: غير مسموع.

الشيخ: الشيخ جوجل صدوق كذوب، انتبهوا نحن لا نعتمد قول الصدوق الكذوب.

نسألكم الآن سؤال في العقيدة فيما درسناه، والذي يعرف يرفع يده ويجاوب: من يذكر لنا دليلًا على وجوب قيام الحُجة من السنة؟

الطالب: غير مسموع.

الشيخ: نعم أحسنت، لا يسمع فاشترط السماع.

سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب اليك.

قواعد في الاعتقاد

المجلس الثالث

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فنحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على أن يسر لنا هذا الجمع، ونحن بعون الله وتوفيقه مستمدين العون منه والامداد، نُكمل ما قد بدأنا في ذكر القواعد في العقائد، ولا زلنا في القواعد العامة في أبواب الاعتقاد.

كم قاعدة ذكرنا؟ ثلاثة عشر قاعدة.

إذًا نبدأ من حيث وقفنا.

القاعدة الرابعة عشر: كل مخالفة في العقائد شذوذٌ وفُرقة واختلاف.

وهذه القاعدة مندرج تحتها مسائل كثيرة:

منها مثلًا: أن نُدرك أنه لا يسع الخلاف في باب العقائد، ولا يصح أن يقول الإنسان: أن الطرق كلها تؤدي إلى روما كما يقولون، أو إلى مكة كما نقول؛ فهناك طرق لا تؤدي إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا توصل إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فأبواب العقائد الطرق الموصلة فيها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ مؤصدة، إلا طريق واحد وهو طريق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن خالف في مسائل العقائد، فأي مخالفة فيها فإنها تؤدي إلى النزاع وتؤدي إلى الفُرقة وتؤدي إلى الاختلاف.

ولهذا نرى أن الله جَلَّ وَعَلا ذكر اختلاف أهل الكتاب فقال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ١٤]، لماذا؟ ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾.

فسبب الفُرقة والاختلاف هو نسيان مُنزل لا سيما في باب العقائد، فمن خالف في مسألة يراها يسيرة فإنها تؤدي، مادامت المسألة في العقائد تؤدي إلى الاختلاف.

فأول منشأ الخوارج؛ أنهم أرادوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بزعمهم، ورأوا جواز الخروج على الحاكم الظالم، فانظروا كم أفسدوا؟ قتلوا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قتلوا علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقتلوا وقتلوا وسفكوا الدماء والأموال، ولا زالوا ولا يزالون.

لما قالت المُرجئة: الأعمال ليست في المسمى الإيمان، انظروا إلى كم فرقة اختلفوا فيما بينهم، فضلًا عن كونهم فرَّقوا الأمة؟

لما قالت المعتزلة: إن العقل المقدم على النقل، انظروا إلام آل إليهم الأمر حتى يقول أحدهم: إنا صحابة رجال ونحن رجال؛ وهذا كلام لا يقوله عاقل يُدرك ما منَّ الله به على الصحابة من الفضائل والدرجات العُلا.

فالمخالفة في باب العقائد شذوذ وفُرقة واختلاف؛ ولهذا لا يسعنا الخلاف في باب العقائد؛ لأن الخلاف في باب العقائد، باب العقائد ما فيها ثلاثة فيها اثنان: إما رجل مسلم موحد، أو كافر مشرك، إما سُني أثري متبع، وإما خلفي مبتدع، لا يوجد بين وبين.

المسألة لا تقبل قولًا ثالثًا، لو كان في الفقه تجد قول وقول آخر، يمكن شخص آخر يأتي ويقول: أنا ائت بقول ثالث.

في مسائل الاعتقاد هذا الكلام غير مقبول، لا يسعنا أبدًا هذا الكلام، مسائل الاعتقاد مسائل إجماعية.

فإن قال قائل -وهذه من فروع المسألة-: إنه قد اختلف الصحابة في بعض مسائل الاعتقاد؟ نقول لهم: نتحداكم على ذلك، وفي إثباتكم لذلك دونه بُعد ما بين المشرق والمغرب، أين تجدون أن الصحابة اختلفوا في باب العقائد؟!

الصحابة اختلفوا في مسائل من الفقه، اختلفوا في مسائل من الفقه التي لم تكن عندهم فيها حكم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن لم يختلفوا في أبواب الاعتقاد، حتى المتقاتلين لم يختلفوا في مسائل الاعتقاد؛ فلم يُبدِّع أحدهم الآخر، ولم يُكفِّر أحدهم الآخر، ولم يُفسِّق أحدهم الآخر؛ لأن الاختلاف لم يكن في باب العقائد، إنما كان الاختلاف في الحكم.

هل يقفون مع ولي أمر المقتول عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وله حكم وإمرة، حتى يأخذوا له بحقه، أو أنهم يقفون مع علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟ فهذه مسألة فقهية اختلفوا فيها.

الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يختلفوا في مسائل الاعتقاد، ولا السلف، وما يقوله بعضهم ويشنشن حوله: أن الصحابة اختلفوا في رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، وأن العلماء اختلفوا في صحة حديث: «أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»، فهذا فيه خلاف، كيف تقولون إنه لا خلاف في مسائل الاعتقاد؟!

نقول: إن المتمعن في هاتين المسألتين على سبيل المثال يجد أن الصحابة لم يختلفوا ولا العلماء؛ فالصحابة كلهم متفقون على أن الله لا يمكن أن يُرى في الدنيا؛ لقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعني: في الدنيا، مع إمكانية ذلك، فهم يقولون: أن الله لا يُرى في الدنيا.

كونهم اختلفوا هل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى الله عَزَّ وَجَلَّ أو لا؟ لم يكن هذه الرؤية رؤية كائنة في الظرف المخلوق في السماوات والأرض؛ لا، هذه رؤية كانت في السماوات العُلا، حتى إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقدم إلى مكان لم يستطع أن يتقدمه جبريل.

فهذه المسألة خارجة عن النزاع على أننا نقول: أن الصحابة أقوالهم فيما بينهم ليست صريحة في الخلاف، هل الرسول رأى ربه أو لا؟

وإنما بعضهم قال: رأى ربه، حمله بعض العلماء على أن المقصود: رؤية منامية.

وبعضهم قال: رأى ربه على ضوء الحديث، رأى نور الله عَزَّ وَجَلَّ؛ كما قال في حديث أبي ذر: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

وفي رواية: «رَأَيْتُ نُورًا»؛ فالمسألة ليست خلافية.

وإن كانت المسألة خلافية بين الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- لكانت المسألة في أصلها خلافية، هل الله يُرى أم لا يُرى؟ وهذه ما اختلف فيها الصحابة -رضوان الله

عليهم- ما اختلف الصحابة في كون الله جَلَّ وَعَلا يُرى في الآخرة، وأن الله جَلَّ وَعَلا لا يُرى في الدنيا؛ لم يختلفوا في هذه المسألة.

يقولون: العلماء اختلفوا، أنتم تقولون: أن المخالفة في العقائد شذوذ وفُرقة واختلاف، العلماء اختلفوا في حديث: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ».

نحن نقول: إننا لما نقول: إن كل مخالفة للعقائد شذوذ وفُرقة واختلاف نقصد بها: العقائد التي هي من المسائل المترتب عليها الاعتقاد، وليست من فروع المسائل الاعتقاد.

يعني الآن مثلًا أضرب لك مثال: من مسائل الاعتقاد أن الله عَزَّ وَجَلَّ يُرى يوم القيامة، هذه من مسائل الاعتقاد، لكن هل المنافقين يرون الله؟ هل الكفار يرون الله يوم القيامة؟ هذه مسألة فرعية متعلقة بأصل المسألة العقدية، ليس لها علاقة في العقائد.

فلذلك هذه المسألة تُذكر حتى في كتب التفسير، تُذكر في كتب الحديث، فهذه مسألة أخرى.

فمسألة الصورة؛ الصورة لله جَلَّ وَعَلا على ما يليق به ثابتٌ، ثابت لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، إن الله عَزَّ وَجَلَّ له صورة، والصورة لها معاني في اللغة العربية، ولكن لا يعني أن صورة الرحمن مثل صورة آدم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا؛ هذه عقيدة تشبيه عند اليهود وعند النصارى، النصارى يعتقدون أن عيسى هو الله؛ فشبهوا المخلوق بالخالق جل في عُلاه.

فلما نقول: إن العلماء اختلفوا في تصحيح الحديث؛ هذا الحديث لا يترتب عليه مسألة جديدة في ذات الباب؛ لأن الذين أثبتوا الصورة لله عَزَّ وَجَلَّ، قالوا المراد: سميعًا بصيرًا متكلمًا، فلا يوجد خلاف بين العلماء في مسائل الاعتقاد بين علماء أهل السنة.

فهذه مسألة واضحة: أن المخالفات في باب العقائد شذوذ وفُرقة واختلاف.

ولذلك تحت هذه القاعدة نضع قاعدة أخرى أيضًا، نقول: **كل خلاف في باب العقائد فهو إما كُفرٌ وإما بدعةٌ.**

وهذه مسألة واضحة.

ومن هنا ينبغي لنا أن نُدرك أن الذين خالفوا في باب الاعتقاد إما الكفار والمشركون، فهؤلاء شأنهم واضح، اليهود والنصارى والبوذيين وغيرهم، كل من يجحد ألوهية الله عَزَّ وَجَلَّ وحده لا شريك له؛ فهو كافر ويعتبر مخالف للمسلمين في باب العقائد.

وهكذا من يُنكر الملائكة، من يُنكر الرسل، من يُنكر إنزال الكتب، ونحو ذلك من مسائل الاعتقاد؛ فالمخالفة في باب الاعتقاد إما كفرٌ وإما بدعة.

طيب ما هو الضابط حتى نعرف أن هذا كفر أو بدعة؟ ما هو الضابط؟

الضابط في كون المخالفة كفرية أو بدعية: يرجع إلى الجحد، فإن كان الخلاف مبناه على الجحد والإنكار، أو على الشَرْكة أو على الاشتراك؛ فهو كفرٌ وشرك، وإذا كانت المخالفة مبناه على التأويل في باب العقائد؛ فهو ينقسم إلى قسمين:

لأنه ربما يؤدي تأويله إلى بدعة فيكون هو مبتدعًا، وربما يكون تأويله بدعيًا وهو لا يكون مبتدعًا؛ وهذه مسألة أخرى.

ولذلك ينبغي لطالب العلم أن يُدرك أنه ليس كل من وقع في الكفر يكون كافرًا، ولا كل من وقع في البدعة يكون مبتدعًا.

القواعد هذه فيها تفاصيل؛ فالحكم على الشيء غير الحكم على الفاعل، حينما نقول: هذا كفرٌ وهذه بدعة؛ فهذا حكم على الشيء نفسه، هذا الذي يقول: لأن المخالف في باب الاعتقاد إما كفر وإما بدعة.

أما الفاعل نفسه فإما أن يكون الشروط والضوابط موجودة فيه فيكون كافرًا، وإما أن تكون الشروط موجودة ولكن الموانع موجودة، أو أن الشروط منتفية؛ فحينئذٍ لا يُحكم عليه بالكفر.

نضرب مثال على هذا: كلنا نعلم أن إلقاء المصحف كفر؛ هذا لا يشك فيه عاقل، لكن لو رأينا مجنونًا ألقى المصحف، مجنون دخل المسجد وأخذ المصاحف وألقاها؛ نعم هو يُزجر ويؤدب ولكن لا يُحكم عليه بالكفر، لماذا؟ لوجود المانع.

فإذًا: انتبه الفرق بين الكفر والكافر، وبين البدعة والمبتدع؛ فالحكم على المخالفة أنه إما مخالفة كفرية، وإما مخالفة بدعية.

أما الحكم على المخالف؛ فهذا لابد فيه من النظر إلى وجود الشروط وانتفاء الموانع، ومن الذي ينظر إلى وجود الشروط وانتفاء الموانع؟

الذي ينظر إلى وجود الشروط وانتفاء الموانع ليس كل أحد، وإلا صار الباب سبهللًا، وإلا صار كل واحد يُبغض الآخر يُكفره أو يُبدعه، لا، هذه المسألة موكولة إلى الحكام والأمراء الذين جعل الله عَزَّ وَجَلَّ الحكم إليهم.

وإما أن المسألة تُرجع إلى القضاة والمفتين، تُرفع القضايا، واللفظ الآن قال: كذا وكذا، هل نُفرق بينه وبين زوجته أم لا؟ من الذي يحكم بهذا؟ إما القاضي وإما المفتي، وإما أن يكون المرجع في ذلك إلى العلماء الذين لهم قدم صدق.

أما طلبة العلم؛ فعليهم أن يتروووا، وهذه ميزة من الميزات التي جعلها الله لأهل السنة على الخوارج، الخوارج كل واحد فيهم مُكفر، كل واحد منهم يُكفر الآخر، كل واحد منهم حاكم في التكفير، وكل واحد منهم كما أنه مستعد للتفجير هو مستعد للتكفير.

أما أهل السنة لا، يقولون: نعم نحن نعلم علم اليقين أن قول هذا الرجل كفر، أما هو يُرفع أمره إلى الحاكم، إلى القاضي، إلى المفتي، يُرفع أمره إلى العلماء، نحن لا نستطيع، كيف نعرف أن الشروط موجودة فيه أو منتفية؟ ما نعرف.

هل يمكن لإنسان أن يحكم بأن الشروط موجودة في فلان أو منتفية بدون أن يستدعيه، بدون أن يسأله، بدون أن ينظر أو يدرس حاله؟ لا.

ولكن هنا ننتبه يوجد فرق بين رجل أصلًا هو منتسب إلى ملة غير الإسلام؛ هذا ما تحتاج تقول: لا والله أنا ما أقول عنه كافر، هو أصلًا يقول لك: أنا يهودي، أنا نصراني، كيف أنت ما تقول عنه كافر؟!

هذا ما يحتاج هو في نفسه مُقرٌ على أنه على ملة غير الإسلام، فكيف تنزع أنت عنه هذه التسمية؟! ما تستطيع، تستطيع؟ ما يمكن.

كذلك لا نقول: لا والله ما نحكم على الناس بالبدعة، والله هذا رافضي، هذا معتزلي، أنا ما أقول عنه أنه معتزلي، لماذا ما تقول؟ قال: هذا إلى القضاة والمفتين، لا، مادام هو ينتسب إلى هذا الشيء فلا يوجد بأس أنك أنت تنسبه، هو ينتسب، هو يُقر لك بهذا، يقول لك: أنا أشعريٌ، أنا ماتوريديٌ، أنا رافضيٌ، أنا كذا، مادام هو ينتسب إلى هذا فلا تتوقف.

من هنا ينبغي لنا التفريق بين هذه الأمور؛ حتى لا تشتبه علينا الخطوب والدروب.

القاعدة الخامسة عشر: التوحيد أول واجب.

هذه القاعدة لها فروع ومسائل:

منها: بطلان قول من قال: إن أول واجب هو النظر؛ يعني: التأمل والتفكر.

ومنها: بطلان قول من زعم أن أول واجب هو الشك؛ يعني: إن الإنسان يشك هل الله موجود أو ليس موجود -عياذًا بالله-.

الذي يشك أن الله موجود أو ليس موجود، أحسن شيء تقول له: أنت شك في نفسك أنت موجود أو ليس بموجود، لماذا؟ لأنه إذا ثبت أنه موجود فلابد أن فاعله وصانعه موجود، فإذا شك في صانعه كأنه يشك في وجود نفسه لأنه مصنوع، هذا لا يقوله عاقل.

فلذلك هؤلاء الذين يقولون: أول واجب هو الشك، نقول: أول واجب أن تشكوا في أنفسكم، هذا الواجب عليكم، ليس الواجب أن تشكوا في وجود الله.

منها أيضًا من المسائل المندرجة تحت هذه القاعدة: بطلان قول من زعم أن أول واجب هو النظر إلى الطرق الكلامية للاستدلال على وجود الله عَزَّ وَجَلَّ.

الأول النظر بمعنى: التفكر.

والثاني: النظر إلى الطرق الكلامية في إثبات وجود الله عَزَّ وَجَلَّ، وغير ذلك من الأقوال؛ فهذه كلها من الأقوال التي لا دليل عليها.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث معاذ بن جبل في الصحيحين، قال: «فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وفي رواية في كتاب التوحيد: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»؛ إذًا: هذا هو الواجب.

وأما إذا كان الإنسان مسلمًا، إذا كان الإنسان ولد بين أبوين مسلمين فما هو أول واجب عليه؟ الصلاة؛ لأنه من صغره وهو يسمع شهادة أن لا إله إلا الله ويكررها، ويسمع شهادة أن محمد رسول الله ويكررها، فلما يبلغ أول واجب عليه الصلاة، التوحيد أول واجب.

ولذلك الله جَلَّ وَعَلا لما أرسل الرسل كان أول شيء يقولونه لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، لا يتكلمون عن المكاييل، ولا عن الموازين، ولا عن الأخلاق، أول ما يتكلمون يتكلمون عن توحيد رب العالمين.

وتوحيد رب العالمين هنا المقصود به: العبادة، التوحيد العبادة، توحيد الألوهية، توحيد الإلهية، توحيد العملي، وليس المقصود به أنهم يقرون بوجود الله، فهذه مسألة منتهية.

القاعدة السادسة عشر: الإقرار بالتوحيد متضمن الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وهذه مسألة فروعها كثيرة، وإن كانت هي من مسائل الدلالات لكن لابد أن ندركها، فالتوحيد الإقرار بالتوحيد، لما يقول إنسان: أنا مقر بالتوحيد، لا نستطيع أن نقول: أنه فعلًا مُقر بالتوحيد حتى ننظر هل تضمن إقراره في التوحيد هذه المعاني الثلاث: إثبات الربوبية لله عَزَّ وَجَلَّ، إثبات الألوهية لله عَزَّ وَجَلَّ، إثبات الأسماء والصفات لله عَزَّ وَجَلَّ؟

فإن كان كذلك فهو فعلًا مُقر؛ لأن كلمة الموحد، كلمة التوحيد، كلمة وحد؛ هذه تتضمن من الناحية الشرعية هذه المعاني الثلاث.

ولذلك قال العلماء: الألوهية تدل بدلالة المطابقة على الربوبية وعلى الأسماء والصفات، والربوبية تدل بدلالة اللزوم على الألوهية.

ولذلك هذا هو السبب، وهو المغزى في كون الله عَزَّ وَجَلَّ يذكر الربوبية في القرآن الكريم كثيرًا؛ لأنه يذكر ما به يُقرون يُلزمهم ما هم يُنكرون، يذكر لهم ما هم به مُقرون ليُلزمهم ما هم عنه منكرون.

فالله جَلَّ وَعَلا يذكر فتوحيد الربوبية لازمه توحيد الألوهية، من الخالق؟ الله؛ إذًا: اعبده وحده، من الرازق؟ الله؛ إذًا: اعبده وحده.

وتوحيد الأسماء والصفات تدل بدلالة المطابقة على الربوبية وعلى الألوهية.

لما نقول: الإقرار بالتوحيد متضمن بالربوبية، من مسائل هذه القاعدة: أن الذين يقرون بالربوبية دون الألوهية لم يأتوا بالتوحيد المنجي، لم يأتوا بالتوحيد الشرعي، لم يأتوا بالتوحيد الذي دعا إليه الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-.

السابعة عشر: التوحيد أعظم مأمور به.

وتدل على هذه القاعدة أدلة كثيرة في الكتاب وفي السنة، لو لم يكن منها إلا أن الله عَزَّ وَجَلَّ، إلا أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أول ما أمر به أمر بالتوحيد، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]؛ أول أمر في القرآن.

أول أمر في القرآن: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ولأجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب؛ وهذا يدل على عظمته، أعظم مأمور التوحيد.

بل قال من أهل العلم: أن الله لم يخلق السماوات والأرض إلا لأجل أن يوحد، لأجل أن يُعبد وحده لا شريك له، وهذا منصوص القرآن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال ابن عباس: "إلا ليوحدوني".

وقال غيره: "ليفردوني بالعبادة"؛ هذه معاني صحيحة؛ فالتوحيد أعظم مأمور.

ومن فروع هذه المسألة، وهذه مسألة عظيمة جدًا، يوجد أحد من الجالسين لا يعرف ما هي السرقة؟ أنا ما أظن أنه يوجد أحد جالس ولا يعرف ما هو السرقة، يمكن حتى الابن الصغير يعرف ما هو السرقة.

كم مرة ذكر الله السرقة في القرآن؟ آية واحدة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]؛ كل الناس يعرفون.

طيب التوحيد أعظم مأمور، لما تخرج من المسجد جرب من الدرس، تسأل واحد، اثنين، عشرة، عشرين، ما هو التوحيد؟ العشرين يمكن كلهم يقولون لك: التوحيد أن الله موجود، أعظم مأمور ما يعرفونه، لماذا؟ ما هو السبب؟

الضباب الذي جاء عليهم، الضباب جاء من أين؟ جاء من تسويد الأوراق البيضاء بالأقلام السوداء منقلبة لعلماء الضلالة، قالوا: التوحيد اعتقاد أن الله موجود، التوحيد اعتقاد أن الله هو الخالق، -سبحان الله-.

القرآن كله لبيان هذا النوع من التوحيد، التوحيد أعظم مأمور ومع ذلك الناس لا يعرفونه، كيف هذا الكلام؟! التوحيد أعظم مأمور كيف لا نعرفه؟!

أو تظن كما قال الإمام محمد رَحِمَهُ اللهُ في كتابه العظيم كشف الشبهات: أو تظن أن الله جَلَّ وَعَلا لا يُبين لك أعظم شيء، أعظم شيء الله لا يبينه في القرآن! غير معقول هذا، هذا بيَّنه الله جَلَّ وَعَلا .

القاعدة التي تلي هذه القاعدة الثامنة عشر: الشرك أعظم منهي عنه.

ومن فروع هذه القاعدة: أن الشرك في الربوبية، شرك في الألوهية، شرك في الأسماء والصفات؛ كله من المنهيات العظيمة؛ ولذلك أول منهي عنه في القرآن الشرك، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، في آية البقرة، أول ما نهانا الله عنه الشرك.

ولذلك الله جَلَّ وَعَلا في أخذه الميثاق ما أخذ على بني آدم الميثاق إلا على التوحيد وترك الشرك، -سبحان الله-، نعم، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

رأيتم كيف؟ فالميثاق المأخوذ إنما هو على التوحيد، وعلى نبذ ما يخالفه وهو الشرك.

ولهذا قال لقمان عليه السلام على قول أنه نبي، فيجوز الصلاة والسلام عليه، وإذا لم يكن نبيًا يجوز أيضًا السلام عليه أحيانًا.

فلقمان يقول: ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

كون الإنسان يضرب إنسانًا ما بغير جُرم ارتكبه هذا ظلم أم ليس بظلم؟ ظلم، طيب إذا كان هذا الشخص الذي ضربته لا تعرفه، ثم جاء نفس الرجل وضرب إنسانًا آخر من جيرانه، صار الظلم ماذا الآن نفسه أم اختلف قليلًا؟ اختلف.

طيب وإذا جاء وضرب أباه، لماذا صار الجُرم شديدًا؟ الظلم لماذا صار شديدًا؟ الفعل نفسه، ضرب، ضرب، ضرب؛ لأنه اختلف باعتبار متعلقه، فالظلم باعتبار متعلقه ثلاثة أنواع:

ظلم الإنسان مع نفسه؛ هذا كما جاء في الحديث: «يُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَالْوُضُوءُ»، ظلم الإنسان لنفسه.

النوع الثاني: ظلم الإنسان للإنسان؛ وهذا يسمى الظلم في حقوق الآدميين، أو حتى في حقوق الجن لا يوجد مشكلة، الظلم في حقوق الناس وهذا لا يغفره الله عَزَّ وَجَلَّ، إلا أن يسامحك المظلوم، أو أن الله جَلَّ وَعَلا يجعله يرضى عنك.

الثالث -وهو أعظم أنواع الظلم؛ لأن متعلقه هو الله جَلَّ وَعَلا-: الظلم مع الله، الظلم مع الله أعظم أنواع الظلم وهو الشرك؛ أن تصرف حقه وهو العبادة فتجعلها لغير الله عَزَّ وَجَلَّ.

فإذًا: الشرك أعظم منهي عنه؛ لأن فيه بخس لأعظم حق في الوجود؛ وهو حق العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

التاسعة عشر: أهل السنة أعرف الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق.

وهذه القاعدة من قواعد الاعتقاد تُبين من جهة سلامة اعتقاد أهل السنة لأنهم أعلم الناس بالحق، وتُبين من جهة عدلهم.

إذًا: القاعدة هذه تُبين من جهة سلامة ما هم عليه من الاعتقاد، وتُبين من جهة عدلهم.

ولذلك أهل البدع يأخذون بأطراف من النصوص ويتركون النصوص الأخرى، مثل الذي يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، ويسكت، فيأتي المعتزلي ويستدل ببعض النصوص ويترك النصوص الأخرى، والخارجي كذلك.

ويأتي ضده وهو المُرجئ يستدل بالنصوص التي تركها المعتزلي ويترك النصوص التي استدل بها المعتزلي؛ ليُبين أن الأعمال لا تُخرج الإنسان من الإيمان بزعمه، وأهل السنة هم أعرف الناس بالحق فجمعوا بين هذه النصوص التي أخذ أهل البدع بأطرافها أو ببعضها.

ولذلك هذه الآية كثير ربما الواحد منا يفكر لماذا الله يقول: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، لماذا الله يذكر هذا لنا عن أهل الكتاب؟

أهل الكتاب خلاص ذهبوا كفروا ووقعوا في الكفر الأكبر ليس فقط أخذوا بعضه؛ ليُبين لنا ويحذرنا الله من هذه الصفة الذميمة، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾؛ فالواجب أن الإنسان يؤمن بالكل.

وأيضًا أهل السنة هم أرحم الناس بالخلق، فليس عندهم جور ولا تعدي ولا ظلم؛ ولذلك لو تتأملون تجدون أن الناس في دول أهل السنة يعيشون بسلم وسلام، وأمن وأمان، وأما المخالفون فإنهم لا يستطيعون العيش في ظل أهل البدع بأمن وأمان.

ولنضرب مثال على هذا: يعني مثلًا: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خليفة المسلمين، خرج الخوارج إلى ناحية من النواحي يُقال لها حروراء، فجاء إليه الناس قالوا: يا أمير المؤمنين إنهم لا يرون بيعتك، أفنقاتلهم؟ قال: "لا، اتركوهم ما تركونا"، -سبحان الله-.

لا يقتلون حتى يسفكوا الدم الحرام، ويأخذوا المال الحرام فيُقاتلون، فلما فعلوا ذلك قاتلهم، تأمل الآن الإنصاف العظيم انحازوا ولم يروا بيعته وخلافته ما قاتلهم، سفكوا الدم الحرام وقتلوا وسفكوا وأخذوا الأموال؛ بدأ بقتالهم، فلما قاتلهم وانتصر عليهم قالوا له جنده: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، يعني: هم لماذا خرجوا علينا يظنون أننا كفرنا فقاتلونا، انظروا الإنصاف.

قال إذًا: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا"، وهؤلاء صيام النهار وصوم، قِيلَ: فَمَا هُمْ؟ فقال: "إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا".

تأمل الآن والله عدل ما بعده عدل، يُبين أنهم لم يخرجوا من الإسلام بهذه البدعة.

ولكن يُبين أنهم بغوا فخرجوا عن السنة، خرجوا عن الطاعة، خرجوا عن الخلافة، وهكذا عاشت الفرق كلها الباطنية، المُرجئة، الخوارج، المعتزلة، كلهم عاشوا تحت الخلافة الأموية، تحت الخلافة العباسية.

ما سمعنا والله أن الحكومة العباسية هجمت على القرية الفلانية لأنهم روافض مثلًا، والله لا تجد لهذا نظير أبدًا، نعم ينصحونهم، يرشدونهم، ولكن لا تجد عندهم بغي وعدوان.

لكن لما تولى الحكم المعتزلة ماذا فعلوا بأهل السنة؟ قتَّلوهم، شرَّدوهم، أخذوا إمامهم الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، هذا حالهم على مر التاريخ، لو نظرت تجد أن أهل السنة إذا مكَّنهم الله جَلَّ وَعَلا –وهذا واقع حتى اليوم–.

يعني مثلًا الآن: في دولة الإمارات ولله الحمد والمنة، نسأل الله جَلَّ وَعَلا أن يحفظها من كل الفتن ما ظهر منها وما بطن، يعيش فيها موافقة أهل البدع والأهواء، بل وأهل الكفر وأهل الشرك وهم آمنون.

لكن ماذا يحصل لو أن مسلمًا مثلًا ذهب إلى بلاد أهل البدع أو إلى بلاد الكفر؟ يجد التعدي عليه، إذا زوجتك منقبة أول شيء ما تدخل، يمكن الطائرة التي أنت فيها ما تنقلع، يقولون عنك إرهابي.

طيب نحن ما قلنا عنهم هذا الكلام، عندنا تعامل بالعدل، ما عندنا تعامل بالمثل، لا، أهل السنة يتعاملون بالعدل؛ فهذه قاعدة عظيمة.

لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يقول -كلمة عظيمة-، على معنى كلامه وليس لفظه يقول: ومما يُنبِّئُك على رحمة أهل السنة أنهم لا يُكفّرون أهل البدع، وأهل البدع يُكفّر بعضهم بعض.

رأيتم كيف؟ هذا والله العجب، الرافضي يُكفّر الخارجي، الخارجي يُكفّر بعضهم بعضًا، فمثلًا: الأزارقة من الخوارج كانوا يُكفّرون الصُفرية، الصُفرية كانوا يكفرون الإباضية، وهكذا كل فرقة تُكفّر الأخرى، أما أهل السنة فإنهم يزنون الناس بميزان الشرع.

القاعدة العشرون: التكفير بما ليس بمُكفّر من سمات أهل البدع.

فهذه قاعدة عظيمة، ومن فروع هذه القاعدة:

أن أهل البدع يُقعّدون قواعد، يضعون قواعد، ثم بناءً على قواعدهم هذه يحاكمون الناس إليها، فمن وافقهم فيها فهو عندهم الرجل، ومن خالفهم فيها فهو الكافر.

فمثلًا: الخوارج يقولون: من يرى صحة بيعة الفاسق من المسلمين فهو يُلحق به كافر مثله، -نسأل الله السلامة والعافية-، هكذا يقولون.

ومن العجائب والعجائب وجمة أني كنت في عام سنة (١٩٩٠) من الميلاد، كنت في باكستان في الهلال الأحمر السعودي، فكنا جالسين على الإفطار وكان يوجد شخصين من المغرب العربي أحدهما يعمل معنا، والآخر بزعمه جاء من الجهاد، ومعي الأخ الذي يطبخ لنا الإفطار جالسين على الإفطار، وهم يتحدثون أنا لا أعرف كثيرًا من كلامهم، لكن أعرف بعضه، خصوصًا أن أحدهم كان يتكلم اللغة الماذرية أو ما أدري الآذرية ماذا تسمى!

فمما فهمت من كلامه أن هذا الرجل الذي جاء ويأكل عندنا في الهلال الأحمر السعودي يُكفّر الملك فهد رحمة الله عليه، وأنا في حياتي أول مرة أسمع شخص أمامي يُكفّر حاكمًا من حكام المسلمين.

فقلت له: يا أخي بارك الله فيك، يوجد علماء العلماء رَحِمَهُم اللهُ ما قالوا هذا الكلام الذي أنت تقوله.

ابن باز رحمة الله عليه ما قال هذا الكلام، أنا ما أمداني انتهيت من الكلام، إلا قال ابن باز كافر، -لا إله إلا الله-.

لأول مرة في حياتي أسمع شخص يُكفّر ابن باز أمامي، تعرفون المثل الذي يقول: قف شعر رأسي، حسيت فيها في ذاك اللحظة، ما معنى قف شعر رأسي؟ كنت لابس الطاقية حسيت أنه يطير؛ فتعجبت قلت: لماذا ابن باز كافر أريد أن أعرف الآن؟ ما ذنبه؟

قال: هو ما يُكفّر الملك فهد، والذي ما يُكفّر الملك فهد كافر، -سبحان الله-، الذي ما يُكفّر الملك فهد كافر!.

طيب لماذا تريد أن نُكفّر الشيخ ابن باز؟ قال: ابن باز يعمل عند الملك فهد، والذي يعمل عند الكافر كافر، -سبحان الله-، جهل مركب.

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اشتغل عند يهودي؛ فاكتسب أموالًا فتزوج بفاطمة، حديث محفوظ معروف.

فأنا قلت الآن: هذا أناقشه في الأحاديث، أناقشه في الآيات ما يفهم، فقلت: اجعلني أناقشه على مبدأه، قلت يعني: الذي يعمل عند الكافر كافر، ابن باز يعمل عند الملك فهد، والملك فهد بزعمك يعمل عند الأمريكان، إذًا: هذه سلسلة كفر، قال: نعم.

قلت: الذي يصاحبك هذا يعمل في الهلال الأحمر السعودي، الهلال الأحمر السعودي تابع للسعودية، تعرف ماذا قال؟ قال: أنت كافر.

والله يا إخوان بدون أي روية، -سبحان الله العظيم-، تعجبت يا أخي، هذاك ما أدري لماذا أطول معه وأتكلم معه، قلت له: يا أخي وأنت، أنت الآن تأكل من طعام الهلال الأحمر السعودي، وأنت تنام هنا، ويمكن تأخذ أموال وتذهب تشتري حاجات لنفسك بعد، وأنت ما حكمك؟

فسكت قليلًا قال: يا أخي هذه غنيمة، قلت له: ممتاز، هذه غنيمة، لماذا ما تعتبر ابن باز يأخذ غنيمة؟! لماذا تكفره؟ لماذا ما تعتبر الملك فهد يأخذ غنيمة من الكفار لماذا تفكره؟!

قال: والله ما عندي مسدس وإلا كنت فرغته في رأسك، هذه مصيبة يا إخوان؛ لذلك نحن لابد أن ندرك أن التكفير بما ليس بمُكفر من سمات أهل البدع.

كنت في الجامعة الإسلامية وكان معنا طالب، -أذكر هذه القصص لأن فيها فوائد وعظات وعبر، خصوصًا أن الفكر التكفيري انتشر اليوم بين المسلمين مع الأسف-، وربما يسوغها بعضهم باسم السلفية، والسلفية منهم بثراء كبراءة الذئب من دم يوسف.

فكان معنا طالب من إحدى دول شرق أسيا من الدول التي كانت تحت الاتحاد السوفيتي من طاجكستان، فكنت أنا وإياه نتمشى ونتحدث وإذا به يُكفر الملك فهد، هذا الكلام عام (٩٦)، فالقاعدة ماذا تقول؟

التكفير بما ليس بمُكفِّر من سمات من؟ أهل البدع، قلت له: لماذا الملك فهد كافر؟ قال: يا أخي أدخل رئيس طاجكستان إلى الكعبة، ورئيس طاجكستان كافر، والذي يدخل الكافر إلى الكعبة كافر.

قلت له الآن: النقطة الأولى: رئيس طاجكستان يقول: أنا مسلم وجاء للحج، وقال للملك فهد: أنا أدخل الكعبة، ماذا يقول له؟ قال: لا، كافر، قلت له: فرضًا أنه كافر وأدخله الملك فهد إلى الكعبة لماذا يكفُر؟

العلماء قالوا: يحرُم دخول الكافر إلى الحرم، ما أحد قال كفر، مسألة فقهية، كيف تُكفره أنت؟ جلس هكذا يتأمل وينظر، قال: والله أنت الظاهر من المباحث، قلت له: أنا وإياك طالب في نفس الغرفة ساكنين، كيف طلعت أنا الآن مباحث؟

أنت كم سنة صار لك في السعودية؟ قال: أنا ست سنوات في السعودية، قلت له: أنا صار لي الآن سنة، أنت ست سنوات في السعودية وتأكل وتشرب وتلبس منهم وآخرها تقول هذا الكلام، قال: تعلمناه من الشيخ فلان ابن فلان.

قلت: لا والله ليس بشيخ هذا، هذا ليس بشيخ، هذا يمكن أن يكون شيخ من، احذفوا من كلمة (شيخ) الياء، يصير ما نريد نذكر اسمه.

فالتكفير بما ليس بمُكفر من سمات أهل البدع.

فالمعتزلة مثلًا يُكفرون من يقول: بأن الله عَزَّ وَجَلَّ له صفة، تأملوا الآن معي، يُكفرون من يقول: إن الله سميع بصير عالم متكلم.

والمُرجئة يُكفرون من يقول: بأن مرتكب الكبيرة يُعذب، طيب هذه مكفرات؟

الرافضة مثلًا يُكفرون من لا يُكفر الشيخين، وهذه أحد الفروقات بين الرافضة وبين الشيعة:

الشيعة يرون تقديم علي على عثمان ولا يكفرون الصحابة، أما الرافضة فمن أبجديات مذهبهم تكفير الشيخين أبو بكر وعمر فضلًا عمن عاداهما.

فننتبه إل هذه القضية: التكفير بما ليس بمُكفر من سمات أهل البدع، أما أهل السنة فإنهم لا يُكفرون إلا بما جاء في الشرع أن هذا كفر أو شرك فقط، لا يكفرون باللازم.

من الذي يُكفر باللازم؟ هذه من سمات الخوارج، هذه من سمات أهل البدع يُكفرون باللوازم، أنت قلت كذا وكذا، ويلزم منه كذا وكذا؛ إذًا: بناءً على هذا اللازم فأنت كافر، يا أخي يمكن هذا الرجل أصلًا ما انتبه للازم.

ينتبه الإنسان لهذه المسألة العظيمة.

الحادية والعشرون: فعل الكبائر دون الشرك والإصرار عليها ليس كفرًا بل هو فسقٌ.

وهذه من المسائل العظيمة والقواعد الجليلة التي تمايزت بها أهل السنة عمن عاداهم من جهتين:

من جهة الخوارج والمعتزلة الذين قالوا: بأن مرتكب الكبيرة يكفُر، فالخوارج والمعتزلة قالوا: يكفر، ثم اختلفوا فيما بينهم في هذا الحكم هل هو حكم آنيٌ وآجل، أو أن هذا الحكم آجل فقط؟

فالخوارج قالوا: هو كافر الآن وكافر في الآخرة، خالد مُخلد في النار.

والمعتزلة قالوا: إنه كافر، ولكن لا يسمى الآن كافرًا وإنما نعطيه المنزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة ماله مع الكفار.

وفي المقابل نجد أن المُرجئة ماذا قالوا؟ قالوا: إن من ارتكب الكبيرة فإن إيمانه لا ينقص، ولا يفسق بارتكابه الكبيرة، ولا يكون فاسقًا ولا ظالمًا، ماذا يكون حتى قال بعضهم كلمة قبيحة مع أنها مسطورة في الكتب؟

قال: إيمان أفجر الخلق كإيمان الصديق، نسأل الله السلامة والعافية.

وقال بعضهم: إيمان أفسق الخلق كإيمان جبريل؛ وهذا يدل على الطغيان.

فهذه القاعدة مهمة أن ندرك أن فعل الكبائر دون الشرك والإصرار عليها ليس كفرًا بل هو فسقٌ.

الثانية والعشرون: الفضائل لا تثبت إلا بالنص.

لما نقول: الفضائل لا تثبت إلا بالنص، لما يأتي إنسان ويقول مثلًا: إن هذا الولي أفضل من النبي، نقول: ما هو النص؟ لابد من النص.

لما يأتي إنسان ويقول: هذه السورة أفضل من هذه السورة، ما هو النص؟ لما يأتي إنسان ويقول: هذه البقعة أفضل من هذه البقعة؛ لابد من نص، فهذا المقصود: لأن الفضائل لا تثبت إلا بالنص، نعم تُدرك بغير النص، ولكن ثبوتها هذه لا تكون إلا بنص.

ولذلك أهل السنة والجماعة قالوا: بفضل الصحابة –رضوان الله تعالى عليهم– بناءً على النصوص الشرعية، ما أعملوا عقولهم.

بناءً على النصوص الشرعية؛ منها قوله جَلَّ وَعَلا : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، ما هو الحسنى؟

من الفضائل التي لابد من ثبوتها في النص: فضائل الأماكن، يأتي شخص ويقول لك: والله كربلاء أفضل من مكة! قبحك الله كيف يكون كربلاء أفضل من مكة؟! هل يُعقل هذا الكلام؟!

والله هذا الكلام لا يقبله حتى الكفار، لو تسأل الكفار تقول: ما الأفضل الكعبة في نظرك أم كربلاء؟ سيقول لك: والله أنا ليس بمسلم لكن أرى أن الناس يتوجهون إلى الكعبة، أكيد الكعبة أفضل عندهم، عقليًا سيقول هذا الكلام.

لكن الشياطين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

ويأتي بعضهم ويقول مثلًا: إن العبادة في المكان الفلاني أفضل من العبادة في المكان الفلاني، العبادة عند قبر فلان أفضل من العبادة في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو في مسجد الكعبة، أو في المسجد الأقصى؛ هذا كلام لا يمكن ثبوته إلا بالنص، كيف أدركت أن هذا أفضل؟!

لأن الأشياء تفضُل بالنص، أو تفضُل بأعمال، وهذه الأعمال قد تكون وقد لا تكون، الآن النص هو الذي أثبت للمسلمين فضلًا، أثبت للموحدين فضلًا، أثبت لهم مآثر؛ فهذه قاعدة لها فروع كثيرة جدًا.

يمكن هذه قاعدة تكون مندرجة تحت القاعدة السابقة، ويمكن نجعلها مستقلة: لا شهادة لمعينٍ بالجنة إلا بنص، نرجو للصالح، ونخاف على الفاسق أو المسيء.

هذه قاعدة عظيمة، نحن نشهد من حيث العموم أن المسلمين هم أهل الجنة، ولكن لو قال لنا قائل: فلان من الناس من المسلمين هل تشهدون له بالجنة؟ هذا معين أم غير معين الآن؟

معين، لا شهادة لمعين بالجنة إلا بنص، نقول: والله ما نستطيع نرجو إذا كان صالحًا نرجو، وإذا كان مسيئًا عاصيًا والله نخاف عليه أن يُعذب.

تأمل معي الآن؛ أما إذا جاء النص كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث سعيد بن زيد، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ». فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ «سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ». هذا نص.

ولذلك لو قال لنا قائل: لماذا سمي العشر المبشرين بالجنة بالعشر المبشرين بالجنة، مع أن هناك آخرين بُشّروا بالجنة؟ لأنهم ذُكروا في نص واحد.

أيضًا مما جاء في شهادة لمعين حديث عكاشة، لما قال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، من يعرف ضبط اسم عكاشة؟ مِحصن، بكسر الميم.

فالشهادة لمعين بالجنة لا يكون إلا بالنص، والشهادة للكفار يكون من حيث العموم ومن حيث الخصوص إذا علمت وتيقنت موته على الكفر، كيف؟

يعني مثلًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، ﴿كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾، أين مكانهم؟ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، فنشهد للكفار بأنهم من أهل النار من حيث العموم.

ومن حيث الخصوص نشهد لأحدهم بالنار إذا تيقنا موته على الكفر، لحديث مسند الإمام أحمد: «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»، لماذا قال: إنما مررت بقبر مشرك وهو مات خلاص؟

فتأمل كلمة (قبر) و(مشرك)؛ تيقنت أنه مات، لأنه لو كان حي، تقول: لابد أن تُقيد وتقول: إن مت على هذا فأنت من أهل النار، لأنه ممكن يسلم.

طيب أنت تعرف أنه كان كافر ثم مات، لكن ما تعرف بعد انقطاعك عنه ماذا كان حاله؟ توقف أحسن، إذا لم تكن تعلم توقف ربما يكون أسلم أنت ما تعلم؛ فإذًا: نُفرق بين هذه، فلا نشهد لمعين بجنةٍ أو نار.

لا شهادة لمعين بالجنة إلا بنص، ونرجو للصالح، ونخاف على الطالح.

القاعدة الرابعة والعشرون: ونشهد لعموم الكفار بالنار، ولخصوصهم إذا تيقنَّا موتهم على الكفر أو الشرك.

الخامسة والعشرون: ليس في الشرع ما يناقض العقل، ولكن فيه ما يحار فيه العقل.

معنى هذه القاعدة: إنه لا يمكن أن يأتي في الشرع شيء العقل يقول مستحيل.

مثال: لو قال لك قائل: واحد زائد واحد زائد واحد، يساوي واحد، ماذا تقول له؟ مستحيل.

لو قال لك شخص: إن الله لا فوق ولا تحت، لا داخل العالم ولا خارج العالم، لا متصل بالعالم ولا منفصل بالعالم؛ هذا صار هو المستحيل، هو الممتنع الذي لا يمكن وجوده.

فالعقل تأمل العقل يُحيل أشياء كثيرة، الله جعل في العقل قدرة يقول: بأن هذا الشيء مستحيل.

ولذلك نحن نقول: ليس في الشرع ما يناقض العقل أبدًا، كل ما في الشرع ما يناقض العقل فتيقن أنه من أحد جهتين: إما من جهة فساد فهمك، وإما من جهة عدم صحة نقلك.

لكن في الشرع يوجد ما يحار فيه العقل، وهذا موجود حتى في الدنيا، الناس أشياء العقول محتارة فيها، مثلًا: العقل يحتار كيف ينزل المطر؟ العقل يحتار كيف يعمل القلب؟ العقل يحتار كيف يعمل العقل؟

أم أنتم لستم محتارين، يوجد أحد منكم يقدر يقول لي: كيف عقله يعمل؟ وأين تخزن؟ أين الرامات؟ ما نعرف، أنت فقط تدخل، تدخل، تدخل بعينك، بسمعك، بفهمك، تدخل، تدخل، وتخزن وتضع، أين؟ ما تعرف.

فإذًا: تأملوا معي أنه يوجد في دنيا الناس أشياء العقول تحتار فيها، مثل الآن: لو قال قائل لنا: إن هناك جراثيم لا نراها، فالعقل يحتار كيف جراثيم ولا نراها؟ يقول لك: في كل متر مربع في بعض الأماكن الملوثة هناك مليون شيء موجود، كل متر مربع مليون شيء موجود ما نراه؟! نعم مليون شيء موجود ما نراه، هذه أشياء تحار فيها العقول.

لكن لا نستطيع أن نحيل، نقول: هذا مستحيل، ليس بصحيح، هذا مستحيل؛ يعني: كأننا دخلنا في الهوى، على كيفنا ننفي.

فحينما يقول المعتزلة –مثلًا–: كيف يُسأل الرجل في قبره؟ كيف يُقعد الرجل في قبره؟ كيف يُجعل القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟ نقول: كيف عقولنا محتارة فيها؟ ما نعرف، لكنه لا يوجد عندنا عقل يقول هذا غير ممكن، هذا ما يمكن.

فسنضرب الآن مثال: أنت الآن جالس وبجوارك شخص نائم واحد على يمينك وواحد على يسارك، فجلست الذي على يمينك وأول ما جلس قال: الله يهديك لماذا أجلستني يا أخي أنا كنت مع الحور العين في الجنة؛ قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنا كيف أعرف؟ هل كنت تعرف؟ ما كنت تعرف.

طيب هو الآن كان في لذة في نعيم بجواري ما تحس، فقلت في نفسك: اجعلني أؤخر عن هذا أخاف هذا بعد مع الحور ما جلس أحسن.

بعد قليل جلس قال: الله يقطع إبليسك أنت بجانبي جالس لماذا ما تجلسني؟ أنا رأيت في المنام أن الحيات والأسود تأكلني، طيب أنا كيف أعرف؟ طيب هذا جنبك وهذا جنبك وأنت ما تعرف.

هذا مُنعم وأنت ما تعرف، هذا مُعذب وأنت ما تعرف، هذا يقوم متكسر وأنت ما تعرف، وهذا يقوم وهو نشيط وأنت ما تعرف، فكيف تعرف؟ وكيف يمكن أن تدرك كيف عذاب القبر؟ كيف نعيم القبر؟ لا يمكن هذا.

إذًا: نحن نقول: إن الشريعة فيها أشياء تحار فيها العقول، ولكن ليس فيها أشياء تحيلها العقول.

وهذه المسألة وهذه القاعدة فندها شيخ الإسلام في مجلدات، ماذا سماها؟ درء تعارض العقل والنقل؛ أعظم كتاب لشرح هذه القاعدة هو كتاب: درء تعارض العقل والنقل.

والقاعدة التي ذكرناها أمس، قاعدة رقم ثلاثة عشر أو أربعة عشر: النقل مقدم على العقل؛ أحسن كتاب يشرح هذه القاعدة هو كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: بيان نقد تأسيس الجهمية.

لأن هذين الكتابين وضعهما رَحِمَهُ اللهُ بيان نقد تأسيس الجهمية وضعه رَحِمَهُ اللهُ لبيان لو فرضنا أن النقل والعقل اختلفوا؛ فالواجب تقديم النقل.

ودرء تعارض العقل والنقل لرد هذه المقدمة الفاسدة، وهو اعتقاد أن النقل قد يخالف العقل.

السادسة والعشرون: التأويل مذمومٌ شرعًا.

دليل القاعدة آية سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

إذًا: الآية فيها النص الصريح على ذم التأويل؛ ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث عائشة: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

إذًا: القاعدة دليلها من الكتاب ومن السنة، التأويل مذموم شرعًا، ما معنى التأويل؟

لابد أن نُدرك التأويل الذي ذمه السلف، التأويل الذي جاء ذمه في الشرع، التأويل الذي جاء ذمه في السنة ما هو؟ غير التأويل الذي كان في عهد السلف، التأويل يأتي لثلاثة معاني صحيحة:

التأويل بمعنى: التفسير، وعليه حُمِّل الأثر: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، على أن هذه اللفظة من أهل العلم من ضعفها.

«وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»؛ يعني: التفسير.

ومنه قول الإمام ابن جرير الطبري: والتأويل في الآية كذا وكذا؛ يعني: التفسير.

والمعنى الثاني: التأويل بمعنى: ما يؤول إليه في الواقع الخبر وإيجاد الفعل المأمور به واقعًا؛ هذا يسمى التأويل.

التأويل بمعنى: ما يؤول إليه أمر الخبر، ما يؤول إليه أمر الفعل الذي أمر الله به ورسوله.

على المعنى الأول: ما يؤول إليه الخبر قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣].

ما المقصود الآن؟ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾؛ أي: مآلات الأخبار التي أخبرتكم بها الرسل.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾؛ يعني: هل ينتظرون إلا أن يأتي مآل ما أخبر به الرسل واقع حتى يؤمنون.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾؛ يوم يأتي ما أخبر به الرسل واقعيًا لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكون آمنت من قبل.

ومن الثاني مآلات الأفعال؛ أن الله عَزَّ وَجَلَّ لما نزل سورة النصر: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، قالت أمنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فسمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، قالت: يتأول القرآن، ما معنى يتأول القرآن؟ أي: يوجد المأمور به واقعيًا.

المعنى الثالث: وهذا عند المتأخرين التأويل بمعنى: صرف اللفظ –وهذا كير عند الفقهاء والأصوليين–، صرف اللفظ عن المعنى الظاهر لقرينة إلى المعنى المرجوح.

وأمثلة هذا النوع كثيرة جدًا:

منها: مثلًا ما يقوله بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، ففسروا كلمة: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾؛ لم يفسرها بمعنى ضيعوها؛ أي بمعنى: تركوها حتى يخرج وقتها، وإنما قالوا: ﴿أَضَاعُوا﴾؛ بمعنى: أنهم تركوا بالكلية.

ومنهم من يقول: جحدها.

فهذا نوع من أنواع التأويل: وهو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر لقرينة إلى المعنى المرجوح.

ما هو التأويل المذموم؟ التأويل المذموم: هو ليس هذا ولا هذا ولا هذا، التأويل مذموم شرعًا هذه القاعدة المقصود بها: هو الاحتمالات التي ترد في الأذهان على النصوص، مجرد احتمال يأتي في عقله فيضعه في النص على هواه.

يعني مثلًا: يقرأ قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فيقول: المراد ب ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: نفسه، من أين أردت هذا؟

قال: لأنه يُقال: جاء السميع، جاء البصير، هذه احتمالات الأذهان، وليست هذه تفسيرات سلفية صحيحة واقعيًا.

القاعدة السابعة والعشرون: كل بدعة في الدين ضلالة.

وأنا ما أريد أن أطيل عليكم فأعطيكم المرجع لمن يريد التوسع، أحسن من فسر هذه القاعدة الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ، ولابن القيم كلام نفيس جدًا أيضًا في بيان هذه الكلية.

كل بدعة ضلالة؛ هذه كلية مثبتة، -تأمل معي- لو قلنا: بأن هناك مقدمة ثانية جزئية سالبة لكانت النتيجة كاذبة، وللزم من ذلك أن يكون هذا الكلام ليس له معنى، وهذا لا يقول به عاقل.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل خطبة جمعة يقول: «كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، ويأتي هذا الرجل يقول: لا، هناك بدعة ليست ضلالة.

تأمل معي، «كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، هناك بدعة ليست ضلالة؟ إذًا: النتيجة أن المقدمة الأولى كاذبة، وهل يمكن أن تكون في مقدمات كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لا يكون صادقًا؟ أبدًا والله، لا يقوله عاقل يعقل ما يخرج من رأسه.

المهم ترجعون إلى كلام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ.

القاعدة الثامنة والعشرون: ليس في النصوص الشرعية مجاز بمعنى ما يصح نفيه.

وهذه القاعدة الرد عليها أو تفصيلها وبيانها موجود في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في الرسالة الموسومة بالإكليل؛ هذه رسالة عظيمة جدًا فيها نفي المجاز عن الكتاب المُنزل للإعجاز، وعن كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن كلام العرب.

ولشيخ مشايخنا الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ الشيخ محمد الأمين صاحب الأضواء رسالة عظيمة في بيان نفي المجاز عن المنزل للتعبد والإعجاز، وهي رسالة عظيمة ماتعة.

وللإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الصواعق المرسلة، أورد المجاز وسماه طاغوتًا؛ لأنهم يدخلون من هذا الباب لإذهاب هيبة النصوص الشرعية من قلوب الناس.

القاعدة التاسعة والعشرون: الحسن والقبح عقليٌ وشرعيٌ.

هذه القاعدة فيها رد على طائفتين من طوائف الضلال:

فهناك من أهل البدع من لا يرى الحسن والقبح، يقول: إن الحسن والقبح ليس لذوات الأشياء، وعلى قوله ماذا؟ يمكن أن يكون الكذب حسنًا، ويمكن أن يكون الصدق قبيحًا، ويمكن أن يكون الشرك حسنًا، ويمكن أن يكون التوحيد قبيحًا –عياذًا بالله–.

فهم لا يثبتون لذوات الأشياء حسنًا ولا قبحًا؛ فلذلك نفوا التعليل في أحكام الله عَزَّ وَجَلَّ، وليتهم توقفوا عند هذا، بل جاوزوا حتى نفوا التعليل في أفعال الله عَزَّ وَجَلَّ، فقالوا: يفعل لا لحكمة –عياذًا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى–.

ولما استحوا قليلًا من الفضيحة أمام الناس حذفوا كلمة: يفعل لا لحكمة، ووضعوا كلمة: يفعل لا لغرض، انتبهوا، عندهم تلاعب بالألفاظ.

فهؤلاء الذين لا يرون الحسن والقبح في ذات الأشياء قالوا: إن شرع الله جَلَّ وَعَلا ليس معللًا، يعني: لماذا حرم؟ خلاص حرم، ليس لأن هذا حسن ولأن هذا قبيح، التعليل المقصود بها هنا هذا التعليل، ليس التعليل الذي هو ركن من أركان القياس في باب الأصول.

طيب الله جَلَّ وَعَلا فعل هذا، لماذا فعل؟ قال: يفعل لا لحكمة، كيف الله سمى نفسه حكيمًا؟ قال: لا لا، يفعل لا لغرض، سموا الحكمة غرضًا.

وفي المقابل مقابل هؤلاء وهذا قول الأشاعرة ومن وافقهم، أو قول جماهير الأشاعرة: وهناك في مقابلهم من زعم وقال: إن الحسن والقبح عقليٌ، حتى جاوزوا المحل فقالوا –عياذًا بالله–: يجب على الله أن يفعل كذا، ويجب على الله أن لا يفعل كذا.

وهذا والله العجب، كيف يوجب المخلوق على الله شيئًا؟!

وأهل السنة والجماعة قالوا: الحسن والقبح عقليٌ وشرعيٌ موجود في الأشياء في ذواتها، والله جَلَّ وَعَلا شرع الأشياء لحكم عظيمة، وأفعاله جَلَّ وَعَلا مبناها على حِكم عظيمة.

القاعدة الثلاثون: الله تعالى يعامل خلقه بالفضل أو العدل.

نسأل الله جَلَّ وَعَلا أن يعاملنا بفضله.

الله تعالى يعامل خلقه بالفضل أو العدل؛ هذه تابعة في الواقع للقاعدة التي قبلها، ولكن أفردها بعضهم لأن لها فروعًا ومسائل.

لعلنا نكتفي بهذا.

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

❀ ❀ ❀

الأسئلة

السؤال: هل صح أن خمسة من الصحابة خرجوا على الحاكم ومنهم الحسين؟

الجواب: لم يصح خروج أحد من الصحابة؛ لأن الخروج الذي هو بدعة هو أن الإنسان يخرج على الحاكم ويعتقد كفره وهو مسلم فينازعه في الحكم، أما مجرد المنازعة في الحكم فهذا لا يسمى خروجًا، هذا يسمى بغيًا، يسمى خطئًا، تأويلًا، أيًّا كان.

السؤال: كيف نرد على من يقول: أن كل من نطق بكلمة التوحيد ولم يعلم معناها بأنه كافر، هو بذلك يُكفِّر كل المعنيين من الأعاجم، وكذلك غيره من العرب الذين لا يعلمون معنى: لا إله إلا الله؟

الجواب: والله أنا ما أدري من قائل هذا الكلام، ولكن نحن نقول: لو أن الكافر الأصل لو قال: لا إله إلا الله وهو لا يعلم معناها؛ لا يدخل بالإسلام، لابد أن يُفهم وأن يُعلم معنى هذه الكلمة قبل النطق.

يقول: أنا أريد أن أسلم، نقول له: طيب تعال ما معنى أن تسلم؟ معناه: لا تعبد إلا الله، إذا قال: لا خلاص أنا مُقر بهذا، قل له: إذًا قل: لا إله إلا الله، انتهت الإشكالية.

أما إذا رجل من الصغر ينشأ يقول: لا إله إلا الله؛ أي: لا خالق إلا الله لا يعرف إلا هذا المعنى، هذا كلام صحيح هذا ما يدخل في الإسلام.

لو قال إنسان: لا إله إلا الله لا خالق إلا الله، جاء شخص قال له: أريد أن أسلم، قلنا له: طيب تريد أن تسلم قبل أن ننطقك الشهادة؟ تعرف ما معنى لا إله إلا الله؟ قال: نعم، معناها: لا خالق إلا الله، قلنا له: لا، هذا لازمه.

معنى هذه الكلمة: لا معبود حق إلا الله، لا تعبد إلا الله، قال: لا، هذه ما أقدر عليها، أنا أقول: لا إله إلا الله فقط، لكن ما أقول: أنا ممكن أني ما أترك عبادة النبي، ما أترك عبادة الولي؛ هذا ما دخل في الإسلام.

السؤال: هل إجماع أهل السنة حُجة؟

الجواب: لا شك، إجماع أهل السنة هو الحُجة، إجماع غيرهم ليس بحُجة.

السؤال: يقول: ذكرت في الأمس أن القواعد قسمان: عامة في باب الاعتقاد، وقواعد عامة في أبواب خاصة من أبواب الاعتقاد، اشرح لنا مع ضرب الأمثلة؟

الجواب: نعم قلنا: عامة في أبواب الاعتقاد؛ يعني: هي مثل القاعدتين اللتين ذكرناهما في الأول، هذه قاعدة مرجع كل القواعد إليها؛ فهي عامة.

أيضًا هذه القواعد التي سردناها أمس واليوم هي قواعد عامة، وهي كالمقدمات بالنسبة لما سيأتي، وهناك قواعد خاصة لكل باب من أبواب الاعتقاد.

السؤال: هل مسألة دوران الأرض حول الشمس اعتقاد باطل؟ وما حكم من يعتقد هذا الاعتقاد؟

الجواب: الواجب أن تعتقد ما جاء في القرآن، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

والأرض كما ذكر شيخ الإسلام في الرسالة العرشية: بإجماع أهل السنة كروية، ومعلوم أن الكرة في الفلك أنه يدور؛ فالأرض تدور، والشمس تدور، والمجموعة الشمسية تدور.

نقول كما قال الله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، ما سمي الفلك فلكًا إلا لأنه يفلك؛ أي بمعنى: يتحرك.

السؤال: ما الراجح في الذي يقوم عليه الحجة؟ هل هو القرآن أو يجب فهم النصوص حتى تقام عليه الحجة خصوصًا لو كان من أهل البدع ويتكلم العربية؟

الجواب: مسألة قيام الحجة وعدم قيام الحجة هذه يُرجع فيها إلى المفتين والقضاة والعلماء الكبار.

السؤال: هل يجوز الرد على أهل البدع والكلام باستخدام الكلام والمنطق؟

الجواب: لا يجوز، ولكن يجوز لك أن تكسر كلامه بكلامه، وتُبين تناقضه بتناقضه، هذا جائز، أما أن تقاتل العدو بسلاحه فربما يرتد إليك السلاح وأنت لا تدري.

السؤال: هل هناك فرق بين المنطق والفلسفة؟

الجواب: نعم، أهل المنطق يفرقون، المنطق كما سمعت والدي رَحِمَهُ اللهُ كثيرًا ما كان يقول حينما أطلب منه أن أدرس عليه المنطق والفلسفة، فكان يقول: المنطق باب الكفر، والفلسفة دهليزها، أيهما أكبر الآن؟ الفلسفة؛ لأن الدهليز أكبر من الباب.

ولذلك يقول شيخ الإسلام: أن المنطق هو جزء من الفلسفة.

السؤال: حكم السجود لغير الله على وجه التحية والتعظيم؟

الجواب: هذا محرم لا يجوز في ديننا.

السؤال: ما حكم من سجد باتجاه القبر تقربًا إلى الله؟

الجواب: الذي سجد اتجاه القبر هو سجد للقبر ما سجد لله، لو سجد لله لجاء للمسجد؛ هذا كفر.

السؤال: ماذا يفيد حديث: لا تقل قبح الله وجهك؟

الجواب: يفيد أن الإنسان لا يجوز أن يُقبح الوجه.

السؤال: هل صح عن شيخ الإسلام تأثر في الفلاسفة في مسألة الحدود والأولي وما معناه؟

الجواب: هذا الكلام ليس له أصل ولا فصل.

السؤال: هل تنصح بحفظ هذه القواعد أو بعضها؟

الجواب: والله إن شاء الله جَلَّ وَعَلا أنا أنصحكم بحفظ هذه القواعد قواعد الأربعة والأصول الستة، قواعد الجامعة للشيخ السعدي؛ هي قواعد ما تأخذ منك سطر.

السؤال: هل وصف الجنة مجازي؟

الجواب: قلنا: لا يوجد مجاز، قاعدة اليوم ذكرناها: لا يوجد مجاز في الشريعة، نحن نضع قاعدة وبعد ذلك أنتم تخالفونها ما يصير، الجنة موجودة حقيقة، وسيأتي هذا في ذكر القواعد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قواعد في الاعتقاد

المجلس الرابع

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فنكمِّل القواعد العامة التي هي كالمقدمات لمسائل الاعتقاد، وقد ذكرنا ثلاثين قاعدة فيما قد مضى.

القاعدة الحادية والثلاثون: الإيمان له أصل وواجب وكمال.

أصل الإيمان ما به يدخل الإنسان إلى الدين، وواجب الإيمان ما يستكمل به الإنسان مرتبة الإسلام بحيث يصل إلى مرتبة الإيمان، وكماله ما به يتم الإحسان.

أو بتعريف آخر: الإيمان له أصل وواجب وكمال؛ فأصله ما يناقض الكفر والشرك وهو التوحيد، وواجبه ما يناقض أو يخالف الفسق والفجور، وكماله ما يخالف ترك الأولى وفعل الأولى، أو ما يكون فيه انشغال بالمباحات ونحو ذلك.

وهذه مسألة عظيمة، بأي شيء يدخل الإنسان الإسلام؟ بإقراره بأصل الإيمان، وبأي شيء يرتقي في مراقي الإيمان، حتى يصل إلى مرتبة الإيمان؟ يرتقي بفعل الواجبات وترك المحرمات، وبأي شيء يرتقي من هذه المرتبة، مرتبة الوجوب إلى الكمال؟ بفعل الواجبات وترك المحرمات، وأيضًا فعل المستحبات وترك المكروهات.

وهذا لا يعني أن الإنسان الذي يكون محسنًا لا يقع منه الفسق، ربما يقع، لكن الفرق بين من يقع منه الفسق، وبين من هو فاسق، أن من يقع منه الفسق يتوب مباشرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٠٢].

فالإنسان ربما يُصاب في إيمانه الواجب بترك واجب، ما صلى الفجر في جماعه مثلًا، أو أنه سب أو شتم؛ فهذا ينقص إيمانه الواجب، لكن كيف ينزع عن هذا ويرتقي مرة أخرى؟ بالتوبة والاستغفار؛ فالإيمان له أصل وواجب وكمال.

لما يقول النبي عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام : «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ»، وصححه الذهبي في التلخيص، والألباني في صحيح الأدب المفرد.

كيف يكون معنى هذا الحديث؟ المقصود به: واجب الإسلام، واجبات الإيمان، وقد مر معنا في القواعد أن الإيمان والإسلام، والإحسان والتقوى ونحو ذلك من الأسماء أنها إذا انفردت تتضمن معنى الأخرى.

قول النبي عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ. قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»، رواه البخاري.

نفى أي الإيمان المستحب، أم الواجب، أم الأصل؟ الواجب، الخوارج ومن نحى نحوهم ظنوا أن المنتفي هو أصل الإيمان؛ فكفروه بترك هذه الأيمان، هذا التفصيل مهم لهذه القاعدة لهذه المسائل.

الخوارج ظنوا أن كل نفي في القرآن للإيمان، يعني: نفي أصل الإيمان، فكفروا المسلمين بالمعاصي، كفروا المسلمين بالفسوق، وعلى قولهم: هذا لا يبقى مسلم إلا الندرة اليسيرة، لا يوجد أحد معصوم، «كُلُّ ابنِ آدَمَ خَطَّاءٌ».

وعكسهم وضدهم المرجئة؛ الذين ظنوا إنما هو منصب على كمال الايمان، كل ما يأتي لا يؤمن، قالوا: المقصود الإيمان الكامل، لا، الإيمان الكامل لا يأتي الشرع.

لهذا شيخ الإسلام قعَّد هذه القاعدة في الاستدلال، لهذه القاعدة، وضع قاعدة أخرى في الاستدلال قال: (لم يأتي في الكتاب والسنة نفي الإيمان على عمل مستحب)؛ أين ما رأيت نفي الإيمان؛ فتيقن أن ما بعد نفي الإيمان إما واجب وإما محرم، «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ ولا الفاحِشِ وَلا البَذِيءِ».

إذًا هذه أمور محرمة أم لا؟ مُحرمة واجب تركها، ولما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا».

إذًا: هي سافرت مختارةً راضيةً بدون محرم، ارتكبت ماذا؟ مُحرمًا، ونقص إيمانها الواجب، هذا لابد أن ندرك هذه المسألة العظيمة؛ لأن الشارع لا ينفي اسم الإيمان على ماذا؟ على مجرد قول مستحب.

قد يقول القائل: إن هناك أشياء نُفي فيها الإيمان أو نفي فيها الاسم وهو مستحب: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةً إِلَّا بِطُهُورٍ»، يوجد صلاة بدون طهور؟ لا يوجد، إذًا: هذا يدل على أن الطهور واجب أم ليس بواجب؟ واجب في الوضوء.

طيب «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ»؛ جمهور العلماء قالوا: باستحباب البسملة، ما أحد قال بالوجوب، كيف أنتم تقولون أن الشارع لا ينفي الاسم إلا على شيء واجب؟

شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ذكر قاعدة قال: (إن ما ثبت أصله وتقرر لا يُنفى لأجل اختلاف الناس، لا نأتي نقول: لأجل اختلاف الناس، إن القاعدة هذه خطأ)، لا، القاعدة صحيحة.

إذًا ماذا نجاوب؟ نقول: إن جماهير العلماء قالوا: بالاستحباب؛ لأن هذا الحديث لم يثبت عندهم فقط، فرأوا الاستحباب بأدلة أخرى عامة، ليست فيها نفي الوضوء؛ مثل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يذكر الله على كل أحيانه، وأنه كان يبسمل على كثير من الأفعال؛ فرأوا الاستحباب.

فإذًا: النفي واضح أن نهتم وننتبه لمثل هذه القضية، على أن هناك من أهل علماء الأصول من يفرق بين النهي ما إن كان منصبًا على ذات الشيء، والنهي إذا منصبًا على شيء متعلق بالشيء.

يعني مثلًا: لما حرم الله الربا؛ حرم الله الربا لذاته، فهذا لا شك أنه لا يمكن إلا أن نقول: أنه محرم، وأنه لا يمكن إصلاحه.

نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نكاح الصغار، هذا ما فيه إشكال أنه محرم، نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينكح المحرم أو يُنكِح أو يخطب أو يُخطب منه، محرم، هذا صحيح.

لكن فرق بين هذا النهي المنصب على الشيء، وبين النهي المنصب على سبب في الشيء.

مثل: الصلاة على الأرض المغصوبة؛ هنا يأتي بعض العلماء يذكرها على أنها إشكال، نقول: القاعدة ما فيها إشكال، أن نفي الإثم لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرم، يخالف هذا الشيء، القاعدة هي الاستدلال لهذه القاعدة: الإيمان له أصل وواجب وكمال.

القاعدة الثانية والثلاثون : كل ما جاء في الأخبار فهو حق.

لا تخييل فيه ولا تجهيل ولا تأويل، العقائد مبناه على الأخبار؛ يخبر الله عَزَّ وَجلَّ عن نفسه بكذا وكذا فنؤمن، يخبر الرسول عن الله عَزَّ وَجلَّ بشيء فنؤمن، يخبر الله عَزَّ وَجلَّ عن الملائكة بشيء فنؤمن؛ فالعقائد مبناها على الأخبار.

هذه الأخبار، كل ما جاء فيها فهو حق، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]، من أصدق؟ لا أحد، فإذا كان الأمر كذلك.

فإذًا: لا يمكن أن يكون في أخبار الله ورسوله ما هو خيال أو ما هو جهل، فقوله جَلَّ وَعلا: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾؛ فهذا فيه نفي أن يكون هناك في خبر الله عَزَّ وَجلَّ ما هو ليس بصدق في نفسه.

من أصدق؟ لا أحد، إذًا: أصدق القول قول الله، أصدق الحديث كلام الله؛ ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل خطبة جمعة، كما في صحيح مسلم يقول: «وإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ».

في رواية: «وإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ».

من قال من الفلاسفة أو غيرهم: بأن كلام الله إنما جيء على وجه التخييل، لماذا جيء به على وجه التخييل؟ يقولون: لإصلاح العامة؛ يعني: هذا كأنه مثل طفل تضحك عليه تريده أن ينضبط فتذكر له قصة خرافية ما وقعت لكي ينضبط فقط، هكذا يقولون -عياذًا بالله-.

الأنبياء جاءوا بما هو في واقع الأمر خيال لا حقيقة، مثل قول بعضهم: أنه لا يوجد قيامة، لكن لا يستطيع أن يقول لا يوجد قيامة، لأنه لو قال أن لا توجد قيامة لكفر.

ولهذا من المسائل التي كفرت بها الفلاسفة أو كُفّروا بها قولهم بإنكار البعث، ومن المسائل التي كفّروا بها الفلاسفة المنتسبين للإسلام، غير الفلاسفة الذين لا ينتسبون للإسلام، الفلاسفة المنتسبون للإسلام كُفّروا لمسائل منها:

إنكارهم البعث الجسماني؛ أنكروا بعث الجسم وإنما قالوا: البعث يكون بعثًا روحانيًا، كيف هذا؟ لا ندري.

ومنها قولهم: بفناء الجنة والنار -عياذًا بالله-، فلهم أقوال كُفّروا بها.

ومنها قولهم: بأن أخبار الشارع أخبار تخييلية.

وبعضهم يقول: بأنها أخبار تجهيلية، وهذا لا شك أنه كفر بالرسل، كأنهم يقولون: أن الرسل قالوا كلامًا لا يدركون أنها لا حقيقة لها، فهم جهلوا أن هذه الاخبار لا حقيقة لها، نقل كلامًا لا يفهم أن هذا الكلام ليس حقيقة في الواقع.

إذًا: ما جاء به الأنبياء ما جاء في الخبر فهو حق لا تخييل فيه، ولا تجهيل ولا تأويل.

القاعدة الثالثة والثلاثون: أهل السنة وسط في الفِرق كوسطية الإسلام في الأديان.

الأديان لما تنظر فيها تجدها بين إفراط وتفريط؛ فبعضهم يشدد على نفسه تشددًا تدرك أنه مخالف للفطرة، تشدد واضح بيِّن، مثل تشدد اليهود في الغسل، فإنه إذا وقعت النجاسة في ثوب أحدهم لا يمكن أن يصلي فيه حتى لو غسله، بل لابد أن يقطعه أو يغير ثوبه ويلبس ثوبًا آخر.

وتجد حتى التشدد موجود مثل تشدد السيخ في عدم حلق شعورهم، لا يحلقون لا شعر العانة ولا شعر الإبط ولا شعر الرأس ولا شعر اللحية، طالما طال لا يجوز لهم أن يحلقوا.

مثل ما يفعله أيضًا البوذيين؛ لا يأكلون ولا يشربون أيام يجلسون بلا أكل ولا شرب هذه عبادة عندهم، فعندهم من التنطع والرهبنة ما يدرك كل صاحب فطرة أن هذا تنطع، تشدد مخالف للفطرة، غلو مخالف للفطرة.

لو نظرنا إلى أديان أخرى نجد أن فيها من التساهل ما يدركه كل عاقل أن هذا لا يمكن أن يكون دينًا صحيحًا، فليس عندهم شيء حرام؛ مثلًا ليس عندهم عبادة يتوجهون بها إلى الله عَزَّ وَجلَّ.

لو نظرنا إلى النصارى مثلًا على سبيل المثال: يأكلون كل شيء، حتى الخنزير الذي تأباه النفوس يأكلونه، الخمر عندهم حلال وهو يُذهب العقل.

وقد قال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (والله ما شربت الخمر في جاهلية، وكنت أتعجب كيف يُذهب الرجل العاقل عقله؟!) كيف يشرب الخمر فيذهب عقله فما يفرق بين أخته وبنته وبين زوجته وعمته لا يفرق؟! تصير المسائل عنده كلها واحده.

فالإنسان يدرك بفطرته أن هناك تساهل، فالإسلام جاء بالوسط؛ جاء بما هو موافق للفطر، ليس فيه غلو وليس فيه تشدد وليس فيه إفراط وليس فيه تفريط؛ هذا دين الاسلام.

كذلك إذا نظرنا في واقع الفرق المنتسبة للإسلام نجدها بين طرفين: غالٍ وجافٍ؛ نجدهم إما أهل تشدد، وإما أهل تساهل.

والعجب أن أهل التساهل يسمون أهل السنة بالتشدد، والخوارج يسمون أهل السنة بالتساهل، بينما هم في الوسط، ترى ما معنى أن نقول: وسط، يعني: يمسك العصاة من الوسط، لا، لا يوجد شيء اسمه مسك العصاة من الوسط، هذا ليس عندنا، هذه الوسطية ليست وسطية، هذه وسطية وسطية، مسك العصاة من الوسط لا تزعل فلان ولا فلان، هذا ليس دين هذا.

الوسطية المقصود: بها العدل: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، ما معنى وسطًا؟ عدلًا خيارًا، كما قال ابن عباس، فلا غلو ولا إفراط ولا تفريط، لا تشدد ولا تساهل.

الدين عندهم ليس فيه أن العقل يعظمونه حتى يجعلونه فوق الكتاب والسنة، وليس العقل عندهم يدوسون فوق النعال، حتى يقول أحدهم: (لو رأيت شيخي على أمي لكذَّبت عيني وصدقت أن شيخي لا يمكن أن يفعل هذا)، -عياذًا بالله- ما هذه العقول؟! ما عندهم عقول.

ولهذا يعلمونهم من الصغر كن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، إن أمسك عورتك لا تقول له شيء، هذا معنى الكلام صح أم لا؟ هذا معنى الكلام، نسأل الله السلامة والعافية.

لا، وبعضهم يؤدي به إلى أن يجعلك ذلك كرامةً له، ولولا أني أخشى أن أدنِّس المسجد بذكر هذه المقالة لذكرت شيئًا مما يزعمون أنها كرامات، وهي خرافات يستحي الإنسان من نقله، فضلًا عن اعتقاده.

فدين الحق أهل السنة والجماعة وسط فلا عندهم غلو في العقل، ولا عندهم إفراط في العقل يلغونه تمامًا، عندهم تعامل نفس القضية عندهم، لا عندهم غلو مع الحكام؛ فكل الذي يقوله الحاكم هو الحق، كما يفعله من؟ أصحاب ولاية الفقيه.

يقول: أن الولي الفقيه كل ما ينطق به هو من الإمام المعصوم، نائب عن الإمام المعصوم، كل ما يقوله حق، ما يمكن أن يكون مخالف للكتاب، لدين الله عَزَّ وَجلَّ، نحن ما عندنا هذا الكلام.

لكن في المقابل ليس عندنا خروج الخوارج عن الحكام، كل ما هو منهم خطأ خرجوا عليهم، إنما عندنا السمع والطاعة بالمعروف، والنصيحة سرًا.

فعند أهل السنة والجماعة طريقة العدل الخيار، هذه هي الوسطية الحقيقية التي أمر الله بها ورسوله، أمرنا أن نكون على هذه الوسطية، عدلًا خيارًا، هذه قاعدة عظيمة: أن أهل السنة وسط في الفرق، في أي باب من الأبواب تتأمل تجدهم كذلك.

مثلًا: في باب الأفعال؛ تجد أن القدرية ماذا قالوا في باب الأفعال؟ القدرية النفاة قالوا: إن الإنسان يخلق فعل نفسه وأن الله ليس له دخل في إرادة العبد، فأثبتوا مع الله خالقين، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ووصل ببعضهم الأمر بأن نفوا العلم عن أفعال المخلوقين، نفوا علم الله؛ ولهذا قال إمام أهل السنة: (ناظروهم بالعلم، فإن أقروا خُصِموا، وإن جحدوا كفروا)، وهكذا قال الإمام مالك وغيره.

في مقابل هؤلاء الجافين في باب القدر، هناك الغالين في إثبات القدر؛ وهم الجبرية؛ الجبرية قالوا: إن العبد ليس له مشيئة، ليس له اختيار.

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ ... إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ

فلا يفرقون في عقولهم الكاسدة، وهم يزعمون أنهم أهل عقل، لا يفرقون بين فعل المرتعش من المرض، وبين فعل العبد المختار الذي يحرك يده، يقولون: هذا وهذا سواء، نسأل الله السلامة والعافية.

إذًا: أهل السنة وسط في جميع أبواب مسائل الاعتقاد؛ فالأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- وسط، فليسوا كالمعتزلة الذين يجافون الأنبياء فيقدمون عقولهم على قول رسول الله.

يقول عمرو بن عُبيد: إن هذا الحديث لو حدثني به إبراهيم، وهو النخعي، لما صدقته، لما قبلته، يراه أنه مثله، ولو حدثني به الذي بعده لما قبلته، ولو حدثني به عبد الله بن عمر الذي هو حديث: «أن تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قال: ولو حدثني به عبد الله بن عمر لما قبلته، ولو قال رسول الله ذلك لقلت له ما على ذلك آمنا بك، ما هذا؟! جفاء ما بعده جفاء مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الصحابة قالوا: يا رسول الله لو أمرتنا أن نسير إلى برك الغماد لسرنا، حتى قال لبعضهم: لو أمرتك أن تلقي بنفسك وتفعل؟ قال: أي والله يا رسول الله.

تأملوا معي، السمع والطاعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلقة، حتى أن الإنسان يدرك أن فعل هؤلاء من المعتزلة وأشباههم من الليبراليين ومن يسمون نفسهم العقلانيين والمفكرين أو المثقفين المسخفين؛ هؤلاء هذا حالهم، هم يسمون نفسهم مثقفين وحقهم أن يسموا مسخفين، كيف تُقدم ثقافتك على قول الله ورسوله؟ سخافة هذه ما هي ثقافة، وإلا لو كان عندك ثقافة لعرفت كيف تتعامل مع الله عَزَّ وَجلَّ ومع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي مقابل التعامل مع رسول الله نجد الغلو من بعض الفرق المنتسبة للإسلام (الفرق الصوفية)، نجد أنهم يغلون في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مثل البريلوية؛ الذين يعتقدون أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي، حاضر، ناظر.

ومثل قولهم: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم ما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ومثل قولهم: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نورانيًا ليس جسمانيًا، الله جلَّ وَعَلا قال له في القرآن: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾[الأنعام:٥٠]، ما بيده شيء، وهم يقولون: بيده كل شيء.

﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾؛ هذه الأمور الثلاثة هم عكسوها، قالوا: كل شيء بيده؛ يعلم الغيب، وهو جسم نوراني مثل الملائكة، سبحان الله العظيم!

حتى أني في كراتشي دخلت مسجد ولم أكن أعلم أن هذا المسجد مسجدهم، فلما دخلت رأيت أشياءً، فلما أقيمت الصلاة إذا بهم سجادة خلف الإمام ما وقف عليها أحد، فتعجبت من هذا الفعل، لأول مرة في حياتي أرى مثل هذا الشيء، فلما انتهيت من الصلاة قلت لصاحبي: لماذا يتركون هذا المكان فارغ؟ قال: ما تعرفهم؟ قال: لا والله ما أعرفهم، قال: هؤلاء يعتقدون أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحضر الصلاة معهم، قلت:

سبحان الله! مادام يعتقدون هذا الاعتقاد لماذا الإمام يتقدم؟! خلي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتقدم! يا أخي ما عندهم عقول.

وهذا يذكرنا بمناظرة شيخ من مشايخنا؛ الشيخ ثناء الله الآمر تسري -رحمة الله عليه- ، الشيخ المناظر الذي ما ترك ملة إلا ناظرهم ولا فرقة ونحلة إلا كسرهم، مناظراته أكثر من مئة وعشرين مناظرة، مع اليهود ناظر، ناظر مع النصارى، مع الفرق كلها ناظر.

يقول: أنه كان في مناظرة مع أحد البريلوية أتباع أحمد رضا خان البريلوي، فجاء والناس كلهم حاضرين، والحاكم من الذي يحكم في هذه المناظرة؟ وهذا من العجايب، كان الحكم في ذاك الوقت في وقت الشيخ كان الإنجليز، الحاكم الذي يفصل بين الاثنين إنجليزي، نصراني هو الحاكم، ودائمًا في المناظرات لابد من وجود حاكم وإلا أصبحت هناك مناوشات، وبحكم غلبتهم وقوتهم سيطروا على المسلمين وعلى غير المسلمين.

فقال الشيخ ثناء الآمر تسري: لماذا جئت تناظر؟ قال: جئت لأثبت أن رسول الله حي ناظر حاضر وليس بغائب، فقال الشيخ ثناء الله: ما يحتاج مناظرة، فليقل رسول الله أنا حي ناظر، انتهت المناظرة، أنت تقول موجود، خلاص ما يحتاج، لماذا تناظر؟! هذا كلام عجيب جدا!

فينبغي عالى الإنسان أن يدرك أن أهل السنة والجماعة عقيدتهم وسط في جميع الأبواب، والله تأملت كل الأبواب -ليس فقط التي ذكرها شيخ الإسلام في باب الواسطية- بل كل الأبواب وجدتهم أنهم وسط في جميع أبواب الاعتقاد، حتى مع الملائكة هم وسط، والله حتى مع الملائكة، كيف مع الملائكه وسط؟

هناك أناس -عياذًا بالله- غلوا في الإيمان بالملائكة حتى أصبحوا يستغيثون بهم من دون الله عَزَّ وَجلَّ، وهناك أناس جفوا مع الملائكة حتى يكادون لولا خوف الكفر لنطقوا بالإنكار بوجودهم.

ولكن أهل السنة وسط، فهذا موجود حتى في الإيمان بالكتب كذلك هم وسط، هناك من يغلو في الإيمان بالكتب حتى يقول بعدم النسخ في الكتب السابقة، وهذا موجود في

بعض طرق الصوفية، يقولون: أن كل الطرق تؤدي إلى روما، هذا ليس صحيح، التوراة الآن لا يؤدي إلى روما، ولا الإنجيل الموجود الآن لا يؤدي إلى روما، هذا واضح، والطرق كلها مغلقه إلا طريق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهناك من يجفو مع الكتاب فيأخذ بأحاديث كليلة ودُمنة، ويأخذ بفلسفة اليونان وفلسفة ما بالهند ويترك كتاب الله عَزَّ وَجلَّ، فهذه قاعدة عظيمة لابد أن ندركها؛ أهل السنه وسط في الفرق كوسطية الإسلام في الأديان.

القاعدة الرابعة والثلاثون: التشبه بالكفرة وأهل البدع محرم لحماية الدين.

التشبه إما أن يكون في أمر ديني؛ فهذا لا يجوز أن أتشبه فيما هو من خصائص دينهم؛ مثل لبس الصليب أو لبس الطاقية القصيرة على الرأس مثل طاقية اليهود، أو لبس الباباوات أو نحو ذلك، ما هو من خصائص دينهم لا يجوز التشبه فيه مطلقًا، والتشبه في مثل هذه الأمور إما أن يكون كفرًا أو فسقًا، إما أن يكون كفرًا أكبر أو كفرًا أصغر.

ولذلك جاء في الحديث: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»؛ والمقصود هنا: التشبه في أعمالهم التعبدية وخصائصهم الدينية.

وجاء في القرآن الكريم النهي عن التشبه بهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، وهذا التشبه نوع من أنواع التولي، ألا ترى أن المحبَّ لمن يُحبُ مطيع، في لبسه، في مأكله، في مشربه، في كل شيء.

يبقى قضية التشبه بهم في أمور الدنيا؛ فهذا ينقسم إلى قسمين:

ما هو عام مشترك بينهم وبيننا؛ فهذا لا يعد تشبهًا؛ مثل اللبس العام، ومثل المطاعم والمطعومات، أكلوا كبسة فأكلنا كبسة، والعكس أصح، أكلوا برجر فأكلنا برجر، لا بأس، المهم أن يكون اللحم حلالًا، هذا واضح.

لبسوا نعالًا معيَّنًا، لكن بشرط أن لا يكون فيه شعار ديني، انتبهوا لهذه القضية، لبسوا حذاءً معيَّنًا فلبسناه، ما يضر، هذا من الأمور المشتركة

إما أمر دنيوي خاص بهم، فهذا أيضا يحرم التشبه فيه، ولكن هل يكون كفرًا أصغر أو لا يكون؟ هذه مسألةٌ أخرى.

لكن لماذا الشارع الحكيم –هذه قاعدة مهمة– أمرنا أن لا نتشبه بأهل الكفر ولا أهل البدع؟ نهانا عن التشبه بهم لماذا؟ لأن هذا كله لأجل حماية الدين، كيف حماية الدين؟

نضرب مثالًا: تصوروا معي لو أن المواطنين الإماراتيين تركوا لبسهم الإماراتي وصاروا كلهم يلبسون البنطلون والقميص –والحمد لله هذا شيء غير موجود لكنها فرضية–، فكيف أنت ستفرق بين المواطن بين الذي جاء من الخارج؟

تأملوا معي أن التمايز مطلوب في أمور الدنيا، فكيف بأمور الدين؟ كيف نستطيع حماية حوزة الدين؟ بالتميز، لا نتشبه، لأن التشبه يجعلك تتبع، توافق، وهذا أمر مهم جدًا؛ لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ».

ما هذا المقصود من اللفظة؟ أنه كل ما رفع إزاره كل ما ابتعد عن التشبه بمن؟ بأهل الدنيا، لأن أهل الدنيا هم الذين يسبلون.

ذكر لي أحد مشايخنا –وكان يلبس العقال– يقول: دخلت على أحد مشايخه –يعني: شيخي وشيخه–، يقول: دخلت عليه وأنا لابس العقال، فقال: لبست ملابس أهل الدنيا، فكان في زمانهم العقال من لبس أهل الدنيا.

فهذه موجودة، فننتبه أن المقصود من البعد عن التشبه ما هو؟ التمايز، أنت الآن ملتحي ولست مسبلًا، فإذا خرجت إلى السوق يجعلك أنت تتمايز في التعامل مع الناس لأنك في قرارة نفسك أنك تمثل الدين، شيء طبيعي.

حتى العين لا يزيغ، لأنك في قرارة نفسك تقول: لا، الله يراني، الناس ينظرون إلي لأني أمثل الدين، كيف أنظر؟!

فتأملوا معي أن هذا التمايز كان سببًا في حماية ماذا؟ الإيمان عندك، فالتمايز في المجتمع سبب في حماية الدين؛ ولذلك نهينا عن التشبه بالكفرة وأهل البدع.

إذًا: نهينا عن التشبه بالكفرة لحماية الإسلام، ونهينا عن التشبه بأهل البدع لحماية السنة.

القاعدة الخامسة والثلاثون: تُجرى النصوص الشرعية على الظاهر اللائق بها.

هذه قاعدة عظيمة في التعلق بالنصوص؛ يأتيك نص متعلق بالإيمان بالله، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب، الإيمان بالرسل، كيف تتعامل مع هذه النصوص؟ تتعامل معها وفق الظاهر اللائق بها.

لماذا قلنا الظاهر اللايق بها؟ لأن هناك ظاهر يفهمه أهل التشبيه فأنت تبتعد عنه، هناك ظاهر يفهمه أهل التعطيل فأنت تبتعد عنه، ماذا تفهم في النص؟

مثلًا: سمعت الله جَلَّ وَعلا يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه:٣٩]، وأنت أخذت هذه القاعدة، النصوص الشرعية لا تأويل فيها –هذه قاعدة مضت–، فلا يجوز لك أن تتوهم أن الظاهر المراد منها ما في خيال المشبة، أن سفينة نوح تصنع على عين الله؛ يعني في عين الله، هذا لا يفهمه إلا من لا يعقل.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾، ليس معناه: في عيني كما يفهم الناس أن العين ظرف لصنع السفينة –تعالى الله عن ذلك–.

ولذلك المعطلة فهموا هذا المعنى التشبيهي في النص فنفوا إثبات العين عن الله عَزَّ وَجلَّ، قالوا: لا يمكن أن نقول أن المراد بالعين العين الباصرة، ما المراد؟ قال: "على عيني" يعني: على علمي، ففسروا العين بالعلم.

لكن لا يجوز لنا أن نؤول، فنحن نُجري النص على الظاهر اللائق بها هو، ما هو الظاهر اللائق بها؟ هو الذي كان يفهمه العربي وقت نزول القرآن هو الظاهر اللائق به.

المشركين ما جاءوا للنبي، ما قالوا له كيف أنت تقول أن موسى قال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، كيف يعني السفينة صُنعت في عين الله؟ ما قالوا هذا الكلام.

لما قال لهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، قالوا: لا نعرف إلا رحمن اليمامة، أنكروا الرحمن ولا ما أنكروا؟ أنكروه شيء ما عرفوه أنكروه، لما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعروة بن مسعود الثقفي: قال: أكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" هذا ما

عاهد عليه محمد رسول الله، قال: رويدك لا نعرف "بسم الله الرحمن الرحيم"، نعرف باسمك اللهُّم.

لا نعرف إلا رحمن اليمامة، انظروا كيف؟ شيء ما عرفوه أنكروه، فهذا الشيء لو فهموا منه هذا الشيء نقيصة لقالوا له: هذه نقيصة، كيف تقول هذا الكلام؟ فهم ما فهموا هذا المعنى.

وكل عربي يدرك أن المقصود: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾، يعني: تحت بصري، هذا المقصود، ليس معنى على عيني يعني: في عيني، ما أحد يفهم هذا الكلام.

ومثل حديث النبي: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»؛ فيأتي المُشبه يقول: إصبعين كإصبعي، -عياذًا بالله-، ويأتي المعطل وفي ذهنه قول المشبه، فيقول: لا، إذًا: الله ليس له إصبعين، ولا القلوب تكون بين إصبعين من أصابع الرحمن.

إذًا ما المقصود بالإصبعين؟ قال: القدرتين، ما القدرتين؟ يعني الله له قدرتين؟! هذا تأويل، أما نحن نقول: نعم بظاهر النص: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»؛ ولا يلزم من قولنا إصبعين لا المماثلة ولا الملامسة

لما نقول: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، السحاب لاصق بالسماء أم لاصق بالأرض؟ أم ليس هذا ولا هذا؟ بين السماء والأرض، فلما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»، هل لزم من ذلك المماثلة والملامسة، ولزم من ذلك أن أصابع الرحمن داخل جسم الإنسان؟

لا ما يلزم، إذًا: نحن نقول: النصوص الشرعية والمسائل الاعتقادية على الظاهر اللائق بها في جميع أبواب الاعتقاد، نجري هذه النصوص هكذا.

القاعدة السادسة والثلاثون: تقسيم الدين إلى حقيقة وشريعة، أو ظاهر وباطن مُحدثٌ.

هذه القاعدة في الحقيقة هي لنفي شبهات وأمور باطلة اعتقدها الذين دخلوا في دين الإسلام في أول الأمر وأرادوا إفساده، فقالوا: إن الدين منقسم إلى حقيقة وشريعة؛

الشريعة: ما عليه الرسل وأتباعهم، والحقيقة: هم الذين انكشف عنهم الغيب، فرأوا المقدور المشاهد بزعمهم؛ فهؤلاء هم الحقيقة، ولهذا يقولون: أنتم ما تفهمون نحن نفهم.

يقول: في ظاهر، في باطن، ويروون في ذلك ما جاء عن علي وابن عباس قالا: "إن القرآن له ظاهر وباطن".

طبعًا المقصود: هذا لو ثبت عن علي وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما وعن غيرهم، لو ثبت فليس هذا المراد، المراد الظاهر والباطن؛ الظاهر: هو الذي يفهمه كل إنسان، والباطن: هو الذي يفهمه أهل العلم، فيفسر الظاهر بالمحكم والباطن بالمتشابه؛ هذا المراد.

ما نضرب القرآن بعضه ببعض أبدًا، وأنا أذكر من القصص العجيبة أن رجل جاء إلي وقال: أنتم وهابية، قلت: لماذا تسمنا بوهابية؟ قال: يا أخي أنتم حتى حرفتم القرآن، قلت: -أعوذ بالله-، كيف حرفنا القرآن؟! قال: يا أخي المصحف مكتوب فيه مطبوع في المدينة المنورة، مكتوب فيه أن عدد آيات القران ٧٢٣٦ آية، قلت: نعم صحيح، قال: لا هذا ليس بصحيح، قال: عدد آيات القران ٧٦٦٦، قلت: والله يا أخي أنا أول مره أسمع هذا العدد، طيب ما الدليل عندك؟ قلت: بأي المصاحف التي بالمسجد أنت تؤمن به؟ قال: والله هذا المصحف، أين مطبوع؟ مطبوع في (تاج كمبني) في لاهور، قلت له: خلاص أنا أؤمن به أيضًا ائت به، مسكت معه سورة سورة، الفاتحه كام؟ هنا سبعة وهنا سبعة، البقرة كام؟ كذا كذا، وفي النهاية طلع نفس الأعداد، لا يوجد ولا فرق، قال: والله أنتم لا تفهمون الظاهر والباطن.

يا الله ما دخل هذا في هذا؟ قلت كيف لا نفهم؟ فأنا عرفت أن الرجل فقط يريد أن يجادل، قلت: يا أخي هب أننا لا نفهم، كيف تؤول قول أبي يزيد البسطامي لما قال: أنا الله؟ تقول: ما نفهم نحن، كيف أنت تؤول؟ فكر قليلًا، ثم قال: المقصود أنا الله، يعني: أنا عبد الله.

قلت: فرعون ما كفر، لأن فرعون لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، يقصد: أنا عبد ربكم الأعلى، إذا تضع أنت على هواك؛ هذه مصيبة، الرجل يقوم ويخطب الجمعة

ويقول: أنا ربكم، يقول: ما في الجُبة إلا الله، وأنت تقول: لا، هو يقصد ما في الجبة إلا عبد الله، إذًا: لما الناس قاموا وضربوه؟ لماذا الناس صلبوه؟ قالوا: صلبوه لأنه أظهر الحقيقة التي كان يجب أن يخفيها، هذه مصيبة.

والناس يظنون أن بعض الفلاسفة وبعض المناطق أن فيه خلاف، والحقيقة لما تتأمل لا تجد، مثلًا: الغزالي ألف كتاب سماه (تهافت الفلاسفة) ورد فيه على الفلاسفة، قام ابن رشد ورد عليه فسماه (تهافت التهافت).

الذي يقرأ كتاب تهافت الفلاسفة، ويقرأ تهافت التهافت يظن أن بينهما خلافًا، هذا رد على هذا، وهذا رد على هذا، لكن في واقع الأمر النزاع على شيء واحد، لابد أن ننتبه عليه، ما هو؟

النزاع أن ابن رشد يقول له: لماذا أظهرت ما كان لك أن لا تظهره؟ لما تظهر شيء للعوام؟ اجعل العوام على عقيدتهم، اجعلوا العوام يعتقدون أن الله في السماء، وإن لم يكن الأمر كذلك، اجعلوا العوام يعتقدون على ظاهر الشرع؛ لأن الأنبياء جاءوا به، أنت أخطأت في إظهار هذه الحقيقة.

انتبهوا هذه مصيبة عظيمة جدًا، وهو رد عليهم في قولهم بأنهم يقولون: بكذا، وكذا، وهذه هي الحقيقة عندهم.

فإذًا: انتبه أن المسائل هذه تقسيم الدين إلى حقيقة وشريعة وظاهر وباطن؛ هذه تقسيمات محدثة.

طيب ماذا نقول من مسائل هذه القاعدة؟ ماذا نقول في تقسيم الدين إلى أصول وفروع؟ في الواقع هذا لم يرد، حتى هذا لم يرد، لا عن الله عَزَّ وَجلَّ، ولا عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا عن الصحابة، الذي جاء في كتاب الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، فجاءت الشريعة تحت مسمى واحد: (السنة)، «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ».

فتقسيم الدين إلى ظاهر وباطن وحقيقة وكذا؛ هذه التقسيمات أصول وفروع ما وردت، لكن قد تجد في كلام بعض أهل العلم مسألة أصول الدين، وهذه من فروع المسائل، يقصدون بكلمة أصول الدين يعني: العقائد، ويقصدون بكلمة فروع المسائل يعني: الفقه؛ فهذا التقسيم في حد ذاته هو مُحدث، ولكن لأنه لا يترتب عليه كبير مفسدة فتساهل فيه بعض العلماء.

وإن بعض أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: ليس هناك ضابط يمكن أن يقال أن هذه المسألة من الفروع وليست من الأصول.

فمثلًا: الآن لو أن إنسانًا ما أنكر غسل الوجه في الوضوء، ما حكمه الآن؟ يعني: غسل الوجه ركن من أركان الوضوء، فلو أن إنسانًا أنكر غسل الوجه؟ لاحظ المسألة؛ فالصواب أن تقسيم الدين إلى هذا، لا، نقول: الدين شريعة، الدين: الإسلام، السنة، هذه كلها مسميات جاءت في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ولكن نحن نقول: إن المسائل إما أن تكون نصية، وإما أن تكون اجتهادية، ومنه ندرك ونعلم ونستيقن أن الاجتهاد لا مجال فيه لمسائل العقائد، الاجتهاد أين محله؟ في مسائل الفقه.

ننتقل ثانيًا إلى قواعد فيما يتعلق بالربوبية:

القاعدة الأولى: معرفة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى أمر فطري، وإنما يأتي في الكتاب التذكير بهذه الفطرة، وتأتي في السنه التأكيد على هذه الفطرة، وليس في الكتاب ولا في السنة ما يخالف هذه الفطرة؛ فمعرفة الرب أمر فطري.

القاعدة الثانية: لم يوجد، ولا يوجد من يدَّعي الربوبية مطلقًا، ما جاء أحد قال: أنا رب السموات والأرض، هذه قاعده احفظها لأنك إذا حفظتها تخصم بها كل ملحد؛ لأنه ما دام ما يوجد أحد قال: أنا رب السموات والأرض إلا الله، إذًا: هو مالكه، لا يوجد نزاع في المسألة.

لماذا نتنازع؟ لماذا نتناقش؟ أنت الآن في بيتك هل تذهب إلى القضاء وتختلف مع شخص بدون خصومة؟ تثبت هذا البيت بيتك؟ لا، متى تذهب عند القاضي أو تتناقش أو تتحاور؟ إذا وجد النزاع.

ما وجد أحد قال: أنا رب السموات والأرض، فرعون أطغى الطغاة قال لأهل مصر: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، يخاطب من؟ أهل مصر؛ لذلك ماذا قال له موسى؟ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦].

هو الآن ما يقدر يقول: أنا بعد رب أبي وأمي، لأن أبيه وأمه قبله، قال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[الشعراء:٢٧].

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨]؛ هو لا يقدر أن يقول: أنا رب المشرق والمغرب؛ لأنه هو يعرف أن في المشرق هناك أهل الصين ولهم إمبراطورية يكسرون رأس فرعون.

فهو عند أهل النوبة جلس معهم سنين يتقاتل معهم، ما قدر أن يدخلهم تحت سيطرته، حتى نمرود الذي ادَّعى الربوبية: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[البقرة:٢٥٨]، لا يستطيع أن يقول: أنا رب السموات والأرض؛ لأن كل إنسان يعلم أن هذا خارج عن القدرة.

يمكن أن يطغى ويقول: أنا ربكم، أنا رب هذه الأرض، أنا رب هذه المنطقة، أنا رب هذه الناحية، هذا وجد، ولكن إنكار الربوبية وجحد الربوبية إنما هو ظاهريٌ، وفي الحقيقة هم يعلمون كذب أنفسهم؛ لأن هذا أمر فطري لا يمكن أن يقيم أحد عليه برهان.

ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ عن فرعون وجماعته: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[النمل:١٤]؛ أي: جحدوا برسالة موسى عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام.

طيب لماذا جحدوا بها إذًا؟ ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، قال موسى عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء:١٤]؛ وقال له أيضًا: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ

﴿مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾؛ هو يعلم، وهذا يدلنا ويؤكد لنا أن مسألة الربوبية مسألة مفروغ منها بين الناس كلهم.

القاعدة الثالثة: الرب جَلَّ وَعلا مستغنٍ مطلقًا؛ ومعنى مستغنٍ مطلقًا، يعني: ليس بحاجةٍ إلى أحد من مخلوقاته أرضية كانت أو سماوية، سفلية كانت أو علوية، ليس بحاجه إلى المخلوقات.

فهو جَلَّ وَعلا الصمد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]؛ لذلك الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى مستغنٍ مطلقًا، ومن صفات الربوبية الاستغناء، فمتى ما زعم إنسان، انتبه أن فلانًا مستحق لشيء من الألوهية، فقل له: هل هو مستغنٍ؟ أن قال: لا، خُصم ليس بمستغنٍ.

إذًا: خلاص مادام هو ليس مستغنٍ، هو محتاج، إذًا: أنا لماذا أتوجه إلى المحتاج؟! أتوجه إلى من ليس بمحتاج.

لذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء:٥٧]؛ الذين أنتم تدعونهم هم يدعون الله، لماذا أنتم تذهبون إليهم؟ أنت تقول: يا عيسى! طيب عيسى كان يتقرب إلى من؟ إلى الله جَلَّ وَعلا؛ إذًا: تقرب إلى الله.

القاعدة الرابعة: المشركون مُقرون بالربوبية ولم يدخلهم ذلك في التوحيد، ليسوا فقط مقرين بالربوبية، بل مقرين بأفراد مسائل الربوبية؛ كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس:٣١]؛ تأمل الآن الرزق من الربوبية.

﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ﴾؛ الملك لله، ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، هذا ماذا يسمى؟ تصرف، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾، التدبير هذه هي علامات الربوبية، علامات الربوبية الخلق، علامات الربوبية الرزق، علامات الربوبية التصرف، علامات الربوبية الملك.

﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾، عندهم خلل في الربوبية، هذا لا شك، لكنهم لا ينكرون الربوبية، ولذلك نجد أن القرآن جُلّه جُلّ ما في القرآن من ذكر الربوبية لأجل إلزامهم بالألوهية، هذه مسألة مهمة جدًا.

القاعدة الخامسة: الرب الحق، له الكمال المطلق، أما من ليس برب حقًا فلا يكون إلا ناقصًا، الكمال في الذات، الكمال في الأسماء، الكمال في الصفات، الكمال في الأفعال، والكمال المطلق الذي هو منتهى الكمال، الغاية في الكمال، كل ما يتصور في الكمالات فالله جَلَّ وَعلا له الكمال المطلق من تلكم الكمالات؛ ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الروم:٢٧].

سادسًا: الربوبية مستلزمة للألوهية.

هذه القاعدة أفردناها هنا، وهي مضت هناك في ضمن قاعدة التوحيد، الربوبية مستلزمة للألوهية.

ولذلك أي شخص تريد أن تخاصمه، تلجمه، ينازعك في مسائل الألوهية تكلم معه في الربوبية وألزمه في الألوهية فقط.

مثلًا يقول لك: يا أخي أنا أطلب من الولي أن يطلب من الله، قل له: أسالك سؤالًا واحدًا، من أرحم بك الله أم الولي؟ ماذا سيقول الآن؟ أتظنه يقول الولي؟ وإذا قال؟

والله يا إخوان سمعتها بأذني، ورب الكعبة سمعتها بأذني، كنت راكب في حافلة أنتقل من منطقة إلى منطقة، في منطقه يقال لها كويتا وأمامي رجلين مسنين جاوزا الستين على مشارف الموت، يقول أحدهم للآخر -عياذًا بالله- يقول: (اذا غضب الرب الولي يرده)، و إذا غضب الولي فمن يرده؟! هذا درجة من الطغيان كفر، وهو بعد قليل سوف ينزل، إذا جاء وقت صلاة ينزل ويصلي إلى هذه المرتبة.

فقال له الرجل: أنتم من أي منطقه؟ قال: أنا من منطقه اسمها بشين، قال: أنتم مساكين ما عندكم ولي، قال: أنت من أين؟ قال أنا من كُسلاك، اسم منطقة، قال: عندنا ولي مدفون في رأس الجبل، وولي مدفون في أسفل الوادي، إذا جاء البلاء من السماء رده هذا

الولي، وإذا جاء البلاء من تحت الأرض رده ذاك الولي، ووالله رأيت بعيني ذاك المدفون في الوادي إذا جاءت السيول المزابر كلها على قبره.

يا أخي أين العقول؟! والله أين العقول؟! سبحان الله! الله يقول للمشركين: ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾، وهم يقولون: أن التدبير بيد الولي، هذا الولي لو كان حيًا ما قدر، نسأل الله السلامة والعافية.

فالربوبية مستلزمة للألوهية، إذا حفظت هذا تُلجم كل إنسان، تستطيع أن تُلجمه بالربوبية، قل له: من أعلم بحالك الله أم الولي؟ سيقول: الله، قل: إذًا عليك بالأعلم واترك من عاداه، من أقدر عليك الله أم الولي؟ يقول لك: الله، إذًا قل: عليك بالأقدر واترك من عاداه، فقط خاصمه بهذه الطريقة.

السابعة: علم الغيب إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وجاء هذا مُصرحًا في آيات: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، وقال عَزَّ وَجلَّ عن نوح أنه قال لقومه: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ﴾ [الأنعام:٥٠]، وقال عن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ﴾، فأول الرسل نوح، وآخر الرسل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن بينهما كلهم يقولون: لا أعلم الغيب.

فكيف يأتي إنسان ويقول: أعلم الغيب؟! فلهذا قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة:٢٥٥]، بل الله عَزَّ وَجلَّ يعلم ما لم يكن، لو كان كيف يكون، أما من عاداه لا يعلم؛ فالعلم المطلق لله عَزَّ وَجلَّ، علم الغيب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

هذه سبع قواعد فيما يتعلق بالربوبية.

إن شاء الله غدًا نُسرد ما يتعلق بقواعد الألوهية سردًا فضلًا عن قواعد الأسماء والصفات.

سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

قواعد في الاعتقاد

المجلس الخامس

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

نبدأ اليوم إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في ذكر القواعد المتعلقة بتوحيد الألوهية، وهذه القواعد قد تكون بعضها متقاربة، وقد يكون بينها عكس وطرد.

فأولى هذه القواعد: المعبود بحق هو الرب.

وهذه القاعدة تتضمن أن كل من يعبد من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، فهي معبودات باطلة؛ لأنها لا تملك شيئًا من الربوبية.

يقول الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

قال: الخالق لهذه الاشياء هو الذى يستحق العبادة، فالمعبود بحق هو الرب، هو الذى يملك الخلق، هو الذى يخلق، هو الذى يرزق.

وما فائدة هذه القاعدة لطالب العلم؟

فائدة هذه القاعدة لطالب العلم أنه يُلزم خصمه ويُبين له أن هذه المعبودات ليست لها من الربوبية شيء؛ إذًا: هي لا تستحق العبادة، المعبود بحق هو الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذى يخلق ويرزق ويملك ويدبر الأمر، يحي ويميت، المعبود بحق هو الرب.

القاعدة الثانية: العبادات كلها لله تعالى.

وهذه القاعدة ينبغي أن تُفهم على الوجهين:

العبادات كلها لله تعالى استحقاقًا.

والعبادات كلها لله تعالى إفرادًا؛ فينبغي على الإنسان أن يجعل عباداته كلها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ولذلك لو تأملنا نجد أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى نفى العبادة عن أفعال المشركين؛ لأنها لم تكن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خالصة، لأنها لم تكن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر ربه: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣].

فهم يصلون ويحجون وينذرون كما في القرآن الكريم، يقولون: هذا لله، وهذا لشركائهم، فعندهم نذور، عندهم قرابين، لكن هذه العبادة بهذه الطريقة لا تكون لله عَزَّ وَجَلَّ.

العبادة كلها لله تعالى استحقاقًا فهو يستحقها، والعبادة كلها لله تعالى الواجب صرفًا أن تكون لله عَزَّ وَجَلَّ.

القاعدة الثالثة: إخلاص الدين لله تعالى هو التوحيد.

وهذه القاعدة أصل من الأصول الستة التي ذكرها الإمام محمد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، إخلاص الدين لله تعالى هو التوحيد.

ومن هنا ندرك أن من لا يُخلص دينه لله ليس عنده توحيد، ومن يدَّعي التوحيد وليس عنده إخلاص فلا يكون موحدًا؛ فإخلاص الدين مبناه على التوحيد، والتوحيد مبناه على الإخلاص.

هذه كلمة لابد أن ندركها؛ إخلاص الدين مبناه على التوحيد، والتوحيد مبناه على الإخلاص، أحدهما مبنيٌ على الآخر.

ولذلك الذى يقول: يا أخي أنا مُخلص لله عَزَّ وَجَلَّ، قل له: لو كنت مخلصًا لأخلصت له العمل، لأخلصت له العبادة، لو قال الرجل: أنا موحد، كيف أنتم تقولون عن الموحدين إنهم مشركون؟

نقول: نحن لا نقول على الموحدين أنهم مشركين حاشا وكلا، ولكنا نقول عن من يصرف العبادة لغير الله، فلا يخلص لله أنه ليس من الموحدين، فرق بين الأمرين.

فمن ادَّعى أنه من الموحدين؛ فعليه إقامة البينة بإخلاص الدين لله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:١٦٢]، وتأمل في تقديم المعمول في قولنا في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]؛ هذا هو الإخلاص.

القاعدة الرابعة: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

هذا تعريف للعبادة، وهو قاعدة من القواعد التي بها نستدل في مسائل الاعتقاد، فمن قال لك: يا أخي من قال لك أنا أعبد غير الله؟ أنا ما أعبد غير الله، طيب ونذرك لغير الله؟ هذه ليست عبادة، طيب أنت لا تسميها عبادة.

ماذا يسمى النذر عند الله؟ النذر لله محبوب أو لا؟ إن قال: النذر لله محبوب، قلنا: إذًا هو عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قلنا له: السجود لله محبوب مشروع أو لا؟ يقول: مشروع محبوب، قلنا: إذًا صرفك لغير الله عَزَّ وَجَلَّ؛ هذا يعنى أنك صرفت العبادة؛ فالعبادة تسميتها في الشرع منطبقة على هذا التعريف اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

الأقوال الظاهرة مثل قول: "لا إله إلا الله"، مثل: "سبحان الله"، "يا الله"، "يا ربنا"، "اللّهم"، ونحو ذلك من أدعية المؤمنين الموحدين.

والأقوال والأفعال الظاهرة مثل: الركوع والسجود.

وأما الأقوال والأفعال الباطنة المقصود بها: قول القلب وفعل القلب؛ فالإنسان يتوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ، يحب الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، يخشى الله، يرجوه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، ونحو ذلك؛ هذه كلها عبادات لا تكون إلا لله عَزَّ وَجَلَّ.

فإذا كانت كلمة العبادة تشمل هذه الأنواع كلها؛ إذًا: لا يجوز صرفها لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

القاعدة الخامسة: الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصًا له الدين، وبذلك أمر الله جميع المرسلين.

لماذا قلنا الحنيفية ملة إبراهيم؟ لأن الناس حتى في زمن النبوة أهل الشرك ادَّعوا أنهم على دين إبراهيم، والنصارى ادَّعوا أنهم على دين إبراهيم، واليهود ادَّعوا أنهم على دين من؟ إبراهيم.

فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

إذًا: الحنيفية هذه ملة إبراهيم تُفسر بالتوحيد، تُفسر بإخلاص الدين لله عَزَّ وَجَلَّ؛ هذه هي الحنيفية، ليست المسألة مسألة انتساب، نحن والله شعب الله المختار كما يقوله اليهود، لا، ليست المسألة مسألة مجرد نسبة كما يقوله النصارى.

أنت تؤمن ببنوة عيسى، ثم بعد ذلك يخلصك عيسى مثل ما تعمل تعمل، لا، ليس بين الله وبين عباده نسب، بين الله وبين عباده سبب، من اتخذ السبب نجا، ومن ادَّعى النسب هلك.

لذلك في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون:١٠١]، الأنساب منقطعة، ولا يقول أحد والله أنا من ذرية إبراهيم هذه تكفيني، أو أنا من نسب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا، الحنيفية ملة إبراهيم التي مدحها الله، هي إخلاص الدين لله عَزَّ وَجَلَّ، بذلك مدح الله إبراهيم الخليل، وبذلك أمر الله به جميع المرسلين بالحنيفية ملة إبراهيم.

الحنفية غير الحنيفية انتبهوا، الحنفية: إما نسبة إلى بنى حنيفة، فيقال له: الحنفي بالفتح، أو نسبة إلى مذهب الفقيه الإمام المشهور أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي مولدًا ونشأةً الكابولي الفارسي أصلًا.

فإذًا: فرق بين الأمرين؛ فالحنيفية؛ حال رجل حنيف عكس الرجل الجنيف، ذكرنا لكم الفرق فمن يعرف الفرق بين الحنيف والجنيف؟ما الفرق؟ الفرق نقطة، شيل نقطة الجنيف ماذا تصبح؟ حنيف. ما الفرق إذًا بينهما؟

نعم هذه أحسن طريقة، إذا أراد الإنسان أن يستذكر معنى كلمة يستحضر الآية وما قبلها وبعدها فيعرف المعنى، "جنفًا او إثمًا".

يقول الحنيف المائل إلى الحق، والجنيف المائل إلى الباطل فقط، هذا مائل وهذا مائل، لكن هذا مائل إلى الحق، وهذا مائل إلى الباطل؛ فهذه هي الحنيفية ملة ابراهيم، ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل. هذا دين الله عَزَّ وَجَلَّ الذى أرسل الله به نوح وإبراهيم ومن بعده.

القاعدة السادسة: العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد والمتابعة.

انتبهوا لهذه القاعدة العظيمة، هذه القاعدة ذكرها الإمام محمد في (كشف الشبهات)، والعبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد والمتابعة، هذا خلاصة الكلام، لماذا هذه القاعدة؟

هذا أصل عظيم، لأن كثير من الناس اليوم يقولون: يا أخي نحن نعبد الله، فأنت تنظر إليه وتقول: هذه العبادة لا تسمي عبادة إلا مع التوحيد.

مثل: الصلاة الإمام محمد ذكر له مثالًا عظيمًا فقال: (مثل الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة)، لو توضأ الإنسان ثم انتقض وضوئه ثم صلى، هل وضوئه مقبول من غير عذر؟ طبعًا غير مقبول.

فمن أدى العبادة، صلى وبعد الصلاة والانتهاء من الأذكار رفع بصره إلى السماء، إلى السماء، يعني: فوق، السماء في اللغة العربية معناها: فوق.

رفع بصره إلى السماء إلى جهة القبلة فوجد مكتوب أمامه في القبلة يا الله، يا محمد، فقال: يا محمد ما فائدة الصلاة الآن؟ يا غوث الأعظم، من هو الغوث الأعظم؟ طبعًا في عقيدتنا الله عَزَّ وَجَلَّ، لا غوث أعظم من الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

أما في عقيدة غلاة المتصوف، فالغوث الأعظم لقب للشيخ عبد القادر الجيلانى، وهو بريء منهم والله، يسمونه الغوث الأعظم.

والإنسان ينظر يتأمل يقول: أنا أعبد الله، طيب أنت تعبد الله وقلبك متعلق بالولي؟! أنه هو الذي ينقذك، هو الذي يعطيك صك الغفران، صكوك الغفران ليست عندنا،

صكوك الغفران هذه عند النصارى، لكن مع الأسف دخلت في المسلمين من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

حتى إن بعض الطوائف تعطي مفاتيح الجنة لأتباعها، ما سمعتم بهذا؟ موجود، هذه مصائب الناس اليوم مصائبهم من الجهل بالتوحيد، ظنوا أن التوحيد هو الإقرار بالربوبية؛ فهذه القاعدة عظيمة: العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد والمتابعة.

فتأمل معي إذا فقدت العبادة التوحيد كان شركًا، إذا فقدت العبادة المتابعة كانت بدعة؛ قاعدة عظيمة -سبحان الله العظيم-.

بعض الناس يتقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، ويتقرب إلى غير الله بالعبادات الشرعية! هذا والله العجب يتعجب الإنسان من هذا، هذا موجود.

الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن الكريم سمى أعمال المشركين شركًا، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٥٤]، كفروا بالله ليس بالربوبية، كفروا بالله؛ يعني: بألوهيته، هذا المقصود.

بعض الناس يظن هذا استطراد لكن أمر لابد منه، يظن أن سبب كفر الكفار على وجه الأرض إنكارهم لرسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا الكلام فيه نظر يا إخوان؛ لأن كفر الكافرين وشرك المشركين ليس لأجل إنكار نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحسب.

أنا أسألكم الآن سؤالًا: قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركون كانوا مشركين أم لم يكونوا مشركين؟ وكفار، طيب واليهود والنصارى؟ كفار؛ إذًا: الكفر والشرك موجود فيهم ليس له علاقة ببعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هم يقولون: إنهم كفار من أجل أنهم أنكروا الرسالة، نحن نسألهم سؤال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسله الله رحمة أم نقمة؟

فإذا قلنا: إنهم استحقوا الكفر لإنكارهم النبوة صار نقمة، لو ما أرسل كان أحسن اتركوهم على ما هم عليه حتى لا يقعوا في الكفر، هذا يقول به عاقل! ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، أرسله الله كما جاء في الحديث: «وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»، أفراد قلة على رؤوس الجبال على التوحيد، والباقين كله على الشرك؛ فهم مشركين أصلًا، فلا يظن ظان أن سبب كفرهم هو إنكار الرسالة فحسب، لا، هذا كفر مستقل.

بهذا نبه عليه الإمام محمد رَحِمَهُ اللهُ في (كشف الشبهات) قال: فإنهم يقولون: إنهم قالوا: إن عيسى ابن الله، ونحن لا نقول ذلك.

فقال الإمام رَحِمَهُ اللهُ: إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]، هذا الآن شيء آخر، والشيء الآخر تأمل معي: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون:٩١].

تأمل هذا كفر وهذا كفر، فالذي يقول: إن لله ابن كفر، الذي يقول: إن مع الله إله آخر كفر؛ ولذلك القضية الأساسية التي خاطب الله فيها عيسى يوم القيامة وذكر الله لنا هذه المحاورة قبل وجودها، ماذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ لعيسى؟

قال: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ﴾ [المائدة:١١٦]، قضية الإلهية، وطبعًا هذا يؤكد لنا القضية الأولى: المعبود بحق هو الرب، هذه القضية مهمة جدًا؛ فنحن نقول: العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد والمتابعة.

ومن زعم أنه يعبد الله بغير التوحيد؛ هذا مثل الذي يبنى بيتًا بلا أرضية، هل يمكن بناء بيت بلا أرضية! لو تأتون بمهندسين العالم كلهم وتقولوا لهم: ابنوا لنا بيتًا فوق الماء، أو بيتًا فوق الهواء؛ لا يستطيعون ينهد.

ولذلك أركان الإسلام الخمس؛ أول ركن وأعظم ركن كما مر معنا: الشهادتان، لأنها أرضية التوحيد: "أشهد أن لا إله إلا الله"، أرضية التوحيد، "أشهد أن محمد رسول الله"، يُبين لك كيف تبني على هذه الأرضية، كيف تبني الأساسيات، فتأتي بالعمود الأول: الصلاة، العمود الثاني: الزكاة، العمود الثالث: الصوم، ثم تزينها بالعمود الخامس المتضمن لهذه الأركان كلها: الحج، بني الإسلام على خمس.

القاعدة السابعة: معرفة الله تعالى بألوهيته، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجب على كل أحد.

وهذه القاعدة تحتها تفريعات كثيرة منها:

أن الذي لا يعرف معنى "لا إله إلا الله"؛ لا يعرف معنى الله، كيف يكون مسلم لا يعرف معنى أشهد أن محمدًا رسول الله"، لا يعرف الإسلام، فهذا لا يمكن أن يكون موحدًا.

من مفردات هذه القاعدة: مسألة إيمان المُقلد، فأهل السنة والجماعة ساروا على طريقة السلف وقالوا بأن إيمان المقلد صحيح، وأما أهل البدع وأهل الكلام فزعموا بأن إيمان المقلدين باطل؛ ولهذا أوجبوا على كل إنسان أن يكون إيمانه إيمانًا غير تقليدٍ.

أما أهل السنة فقالوا: بأن أطفال المسلمين لو ماتوا فإنهم يكونون في الجنة، وهكذا المجنون إذا كان بين المسلمين فإنه يدفن في مقابر المسلمين ويُصلى عليه، وهكذا لو أن إنسانًا نشأ بين المسلمين ولم يناقض التوحيد وأعماله وفق أعمالهم، وإن لم يكن عنده دليل وبرهان على ما يقوم به فإن ذلك كاف، أما هم قالوا: لا، هذا لا يكفي، بل لابد عندهم من إقامة البراهين.

ومن الأبيات المشهورة:

من أخذ الدين بالتقليد ... لم يخلو عقله من الترديد

هذا صحيح، البيت صحيح معناه؛ لأن الإنسان الذى يقلد غيره قد يقع ويطرأ ويأتيه الوسواس في أمور الدين، لكن الذى عنده علم هذا يثبته الله -جل وعلا-.

ومن مفردات هذه القاعدة أيضا: الرد على المرجئة الذين قالوا: بأن المعرفة كافية.

يقولون: معرفة الله كافية فهذه لا تكفي، بل لابد من معرفة الله بالألوهية؛ معرفة الله بألوهيته، معرفة الله بدينه، تعرف الله فتتدين له، تعرف الله فتعبده، الإيمان عند أهل السنة والجماعة ليس المعرفة، الإيمان إقرار وعمل.

هذا الأصل السابع هو معنى حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟»؛ وهو الذى بنى عليه الإمام محمد كتابه العظيم (الأصول الثلاثة).

القاعدة الثامنة: التوحيد مبناه على النفي والإثبات.

وهذا هو معنى "لا إله إلا الله"، لماذا قلنا التوحيد مبناه على النفي والإثبات؟ لأن من ينفي فقط فهذا يدخل في الإلحاد -عياذًا بالله-، كمن يقول: "لا إله"، ومن يثبت فقط يقول: "الله الله"، فهذا لم يأتي بالتوحيد؛ لأن النفي والإثبات ينتج عنه التوحيد، "لا إله"؛ نافيًا العبادة عما سوى الله عَزَّ وَجَلَّ، "إلا الله"؛ مثبتًا العبادة لله عَزَّ وَجَلَّ؛ فركنا التوحيد النفي والإثبات، التوحيد مبناه على النفي والإثبات.

وهذا القرآن في تقريره كثير جدًا:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٦,٢٧]، تأمل: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ [البقرة:٢٢]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، فالقرآن كله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون:٢٣]، ﴿أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فهذا هو حقيقة التوحيد، ومن زعم أنه يستغني بالإثبات عن النفي، فإنه مصاب في عقله، فإن قول الإنسان: "الله الله"، ليس توحيدًا، المشركين ليل نهار كانوا يقولون: الله الله، هذا ليس توحيدًا، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، ما نفعهم، التوحيد: "لا إله إلا الله".

ولذلك لما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم عندما عمل لهم وليمة لهم وجمعهم، قال لهم: «قولوا كَلِمَةٍ تَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَ الْعَجَمُ»، سمعوا قضية الكراسي استشرفوا لها، قالوا: كلمة، قال: كلمة.

قال أبو جهل: وأبيك عشرة، أي: وشرف أبيك عندنا، أو ومنزلة أبيك عندنا نعطيك عشر كلمات، «قَالُوا: مَا هِيَ؟ قَالَ: قُولُوا "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، هذا في بداية الدعوة، فانفضوا من حوله وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

كيف ما نعبد إلا الله؟ هم ما أنكروا أن العبادة لله، هم يثبتون أن العبادة لله، لكن إنكارهم أنه لا يُعبد إلا الله، هذا هو الإنكار، هذا الذى أنكروه وجحدوه، هم يقولوا: الله معبود، واللات والعزى معبودات، الأولياء عندهم معبودون.

ولذلك لما قال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، انفضوا من حوله وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.

طيب ما دليلكم أن هذا لشيء عجاب؟ قالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص:٧]، فقط هذا الدليل؟ هذا ليس الدليل، يعني: هل يكونوا عدم العلم عدمًا؟ لا، عدم العلم لا يكون نفيًا للعلم.

هذا يذكرني بقصة: كان شائب عندي في المسجد فمرة ذكرت حديث، قال: يا شيخ أبو صلاح عمري سبعين سنة ما سمعت بهذا الحديث، وإني عاشرت الشيخ فلان وفلان وفلان كلهم ماتوا، عد لي خمسة، قلت: زين يا أبو عبيد -الله يرحمه- اتوفى، قلت له: يا أبو عبيد أنت قرأت البخاري؟ قال: ما أعرف ما هو البخاري؟ هل هذا الآن حجة هذا؟ فكون الإنسان ما سمع بشيء ليس هذا حجة.

قالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾، وبعدي ذلك رجعوا لأنفسهم رأوا أن هذا حجة واهية، ما هي حجة، ففتشوا على حجة ثانية: ﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص:٨]، لماذا هو؟

طيب نعيد عليكم نفس السؤال: لو نزل الوحي على غيره لقلتم نفس الكلام لماذا هو؟ صح أم لا؟ لذلك شُبه المشركين واهية.

والله يا إخوة، لو أن شخصًا قام وأراد أن يقيم دليلًا على إباحة الخمر، لكان عنده ما يمكن أن يتمسك به، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل:٦٧]، انظر

يوجد تمسك يوجد ممسك، لكن والله وتالله وبالله لا يوجد أدنى دليل على الشرك، أَبين شرك الله بيَّنه في القرآن التوحيد، وأشد شيء انصبت الأدلة على بطلانه الشرك.

فكيف يمكن أن يكون هناك دليل؟ ما يمكن أن يكون هناك أدنى ملابسة أو ملامسة في قضية التوحيد الشرك؛ ومع ذلك هي من أشكل القضايا على البشرية، لأجل أن تدركوا أن إبليس قد وضع شباكه وشراكه فأدخل الجم الغفير في هذه الشبكة الكبيرة.

هو عنده ثلاث أنواع من الشِباك أو خمسة كما قال ابن القيم:

الشبكة الأولى: هي الكبيرة التي يضعها في المحيطات، يضعها في كل الب ريمشى (شبكة الشرك)، إذا فلت الإنسان من هذه الشبكة، في الشبكة الثانية حفرها أصغر قليلًا، (شبكة البدع)؛ إذا سلمت منها شبكة الكبائر، سلمت منها الصغائر، سلمت منها الأولى أو المباحات.

فتأمل يا رعاك الله ولذلك كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«اللّٰهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما تعلم»**، الشرك.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر لما قال يا رسول الله علمني دعاء، قال: **«قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا»**؛ تأمل هذا الدعاء العظيم.

وعلى كل حال هذه القاعدة العظيمة جدًا: التوحيد مبناه على النفي والإثبات.

القاعدة التاسعة: ليس بين الله وبين خلقه واسطة في العبادة.

الرسل كما سيأتي معنا في قواعد الرسل، الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- واسطة في التبليغ، ليسوا واسطة في العبادة.

يعني: ما قال أحد الأنبياء لأحد أتباعه: أنت اعبدني وانا أقربك إلى الله، والعجب العجاب أن كثيرًا ممن لبَّس عليهم الشيطان يقول لمريديه: أنت تمسك بي وأنا أنجيك! يا مسكين أول شيء انجي نفسك.

والله لو جاءت الرياح ما استطعت أن تردها، لو ماجت الأمواج ما استطعت أن تهدئها، لو دخلت إبره في جسمك ما استطعت أن تخرجها إلا بعملية جراحية، والآن تزعم أنك تنجي هذا المسكين من النار! -الله اكبر-.

بل يقول الضالون منهم يقول: علي قسيم الجنة والنار، وسمعت بأذني أحدهم يقول: على واقف على الصراط، من شهد له بالولاية والإمامة وتبرأ من أعدائه ولا سيما الشيخين؛ أخذ بيده وجاوز به الصراط، ومن لم يكن كذلك يقول: ألقاه في النار، صار الجنة والنار بيد من؟ بيد علي ليس بيد رب العالمين! وهو بيد رب العالمين قسموه عند الله، -سبحان الله العظيم-.

الله في القرآن يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]، من يجيب؟ لا أحد يجيب يقول بعض المفسرين: لا يُدرى كم المدة بين السؤال وبين الجواب؟ فرب العزة والجلال يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، لا أحد يستطيع أن يجيب؛ فيجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

يعني: أتعجب الإنسان، وسمعت خطيبًا يخطب الجمعة قبحه الله يقول: إن غلام دستجير، هذا أحد الأولياء الذين زعموا أنه يأخذ بيد مريديه، أنه مات أحد مريديه، قصة طويلة خرافية، إلى أن أوصلها إلى درجة أن قال: لمنكر ونكير اذهب إلى الله وقل له: هذا لا يعرفك ولا يعرف دينك ولا يعرف نبيك يعرفنى أنا وأنا أنجيه!

يقول: -هذه طبعا محاضرة طويلة خطبة جمعة كلها عن قصة خرافية في القبر-، في الأخير فقال للملكين منكر ونكير: قولا لله إما أن تخلّص هذا من عذاب القبر لأنه لا يعرفك ولا يعرف دينك ولا يعرف نبيك وإلا جعلت نارك جنة وجنتك نارًا، ثم ماذا يقول؟ اللّهم صل على محمد، الله اكبر، جعل الله لأوليائه ما يشاؤون.

يا القبيح، يا الأفاق، كيف تقول هذا على منبر خطبة الجمعة وتدعى الإسلام! والله أبو جهل وأبو لهب ما يقولون هذا الكلام، هذا باسم الإسلام، باسم الإسلام يا إخوان، وجُبّة، وأن الحمد لله وآية وأحاديث، وقال الولي الفلاني، يقول: لابد من الواسطة،

الواسطة نشأت من شبهة التشبيه، يقول: ألست إذا ذهبت إلى الملك تحتاج واسطة؟ تذهب إلى الأمير تحتاج واسطة؟ تذهب إلى الرئيس تحتاج واسطة؟

كيف تذهب إلى الله وأنت بدون واسطة؟ وأنت نجس؟ تقول: لا، الموحد ليس بنجس أنت النجس، نعم، صدقت، أنت ما يمكن تصل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والله لو عبدت الله ليل نهار وأنت على شركك ما تصل إلى الله، لا يصل إلى الله إلا الموحد بالتوحيد، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، ما الذي يرفعه؟ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

قال بعض المفسرين: والعمل الصالح: التوحيد.

فينبغي على الإنسان أن يدرك أنه ليس بين الله وبين خلقه واسطة في العبادة؛ تستغفر الله مباشرة، ما تذهب إلى الباباوات، تستر على نفسك تطلب منه -جل وعلا-، تسجد له، تركع له، تخشى منه، ترجوه، إلى آخر ذلك.

أما الشبهات ما ننتهي منها، نحن لا يمكن أن ننتهي من الشبهات، فقط قل لهم كلام واحد؛ قل لهم: الآن أنت تطلب من رسول الله أن يستغفر لك من الله، هكذا يقولون، قل له: طيب تطلب من رسول الله أن يطلب من الله أن يغفر لك، هل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمعك؟

إذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمعك ويراك، فلماذا الصحابة لم يأتوا إليه؟ لم يشتكوا عنده فيما جرى بينهم؟ لماذا لم تأتي زوجته الصديقة إليه؟ لماذا لم تأتي فاطمة بعدما خالفها أبو بكر في قضية الإرث وقال لها: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا لَا نُوَرَّثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ»، وهي لم سمعت لم تسمع، لماذا لم تأتي للقبر وتقول: يا أبتي أأنت قلت هذا أم لم تقل؟.

كل هذا كلام، كلامهم ما ينتهي؛ ولذلك قلنا أحسن طريقة في الاستدلال هي فهم السلف فقط، وإلا شبهاتهم اليهود والنصارى، وعندهم التوراة والإنجيل أم ليس عندهم؟ عندهم التوراة والإنجيل وضلوا، ما هو معناه: أنهم، لا، الإنسان يضل وعنده علم.

الله في القرآن ذكر: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، على علم ليس على جهل، نسأل الله السلامة والعافية.

القاعدة العاشرة: العلم وحده لا يكفي حتى يكون معه العمل والإقرار وفق كلمة التوحيد.

يعنى: أبو جهل ما كان يعلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله حق في لا اله الا الله؟ طيب لماذا إذًا علمه لم ينفعه؟ لأنه لم يعمل وفق ذلك.

أبو طالب يقول: ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دين، عنده علم أم لا؟ نفعته؟ ما نفعه هذا العلم.

قيصر ماذا قال؟ قال: "وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ"، نفعه ذلك؟ ما نفعه ذلك، إذًا: لابد أن ندرك أن العلم وحده لا يكفي حتى يكون معه العمل والإقرار.

سبحانك اللّٰهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

قواعد في الاعتقاد

المجلس السادس

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد :

فلا زلنا في القواعد الرضية فيما يتعلق بتوحيد الألوهية، ذكرنا كم قاعدة؟ عشرة قواعد.

القاعدة الحادية عشر: النزاع بين الأنبياء وأقوامهم في توحيد العبادة.

وهذا منصوص الكتاب والسنة، ويدل عليه واقع حال الأنبياء مع أقوامهم، فكلهم كانوا يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

الثانية عشر: توحيد الألوهية متضمنة للربوبية.

فمن صلى لله وصام لله وذبح لله ونذر لله، فإنه يعتقد أن معبوده الله -جل وعلا-، ومن هنا نُدرك أن من يصرف العبادة لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنده نوع خلل فيما تعلق بالربوبية.

الثالثة عشر: الله تعالى لا يرضى الشريك مطلقًا.

فسواء كان هذا الشريك مَلَكًا أو مَلِكًا، نبيًا أو وليًا صالحًا أو طالحًا؛ لذلك يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الرابعة عشر: الموالاة والمعاداة إنما هي على التوحيد والسنة لا على غيرهما.

نحن لا نوالي الناس على مجرد توحيد الربوبية، لا، إنما نواليهم على توحيد الألوهية، فالموالاة على أمرين: التوحيد الذي هو توحيد الألوهية والسنة.

والمعاداة على أمرين: الكفر، فنعادي أهل الكفر والشرك معاداة دينية، هذه قضية.

والقضية الأخرى: إذا كانوا حربيين نعاديهم معاداة الحربيين، ثم أهل البدع كذلك نعاديهم لأجل أنهم خالفونا في السنة معاداة دينية، وإذا وقع الحرب بين أهل السنه وأهل البدع فإنه يجب علينا أيضًا أن نعاديهم معاداةً تقوم على الحرب والقتال والنُصرة والتمكين.

الخامسة عشر: شرك المشركين جُلُّه بل كله في الألوهية.

وهذه القضية واضحة أنهم لا يقولون عن معبوداتهم أنها الخالق أو أنها الرازق أو أنها المالك أو أنها المتصرف، بل يقرون بأنها لا تملك من الربوبية شيئًا، وإنما صرفوا لها العبادة.

قالوا: ما توجهنا إليهم ولا دعوناهم إلا طلبًا للقربة والشفاعة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

السادسة عشر: كل من عبد شيئًا مع الله فهو مشرك.

وهذه القاعدة تأكيد للقاعدة الثالثة عشر بصيغة أخرى.

أرسل الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي زمانه الناس يعبدون معبودات مختلفة، منهم من يعبد الشمس والقمر –جمادات–، ومنهم من يعبدون اللات والعزى ومناة، وهي صور لصالحيهم، ومنهم من يعبد الأنبياء كالنصارى يعبدون عيسى، ومنهم من يعبد عزير؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهؤلاء كلهم، وبيَّن أنهم كلهم على الشرك.

فكل من عبد مع الله شيئًا فهو مشرك؛ ولذلك تجدون في القرآن آيات كثيرة فيها كلمة: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، ﴿مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٩]، أيًّا كان؛ هذا كله يُدخل الإنسان في الشرك.

السابعة عشر: المشركون المتأخرون أعظم شركًا من الأولين.

وقد بين الإمام محمد رَحِمَهُ اللهُ في كتابه العظيم كشف الشبهات هذه القاعدة بيانًا فقال: وذلك من جهتين:

الجهة الأولى: من جهة أن المشركين الأوائل يخلصون في الشدة ويشركون في الرخاء، وأما مشركي هذا الزمن فحتى في الشدة يستغيثون بغير الله، ما الدليل على هذا؟ القرآن: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، تأمل هذه الآية العظيمة.

والجهة الثانية: أن شرك المشركين الأوائل كانت لأنبياء وأولياء وصالحين، فمنهم من عبد عيسى وعزير وود وسواع ويغوث؛ وهذه أسماء رجال صالحين كما قال ابن عباس: واللات كان رجلًا صالحًا يلت السويقة للحجاج، يطعمهم، فلما مات عكفوا على قبره، ثم صنعوا له تمثال، ثم عبدوه مع الله.

فالمشركين الأوائل كانوا يعبدون أحد شيئين: إما شيء صالح، وإما شيء لا يوصف بالصلاح والكمال كالجمادات، لكن هل كانوا يعبدون العُصاة والطغاة؟ هذا لم يكن موجودًا في الزمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعم كانوا يعبدون فرعون، لكن فرعون عندهم كان رجل صالح في نظرهم.

العجب اليوم أن الناس -هذا من شرك المتأخرين- يعبدون أناسًا هم يقولون عنهم: أنهم كانوا مجانين، وإذا صلحوا العبارة قليلًا قالوا: مجاذيب، رجل مجذوب؛ أي: أُخذ عقله صار ما يعرف ماذا يقول، أو يقولون عنه: بهلول، سبحان الله! أين عقولهم؟

شيء عظيم رجل لا يفرق بين أخته وزوجته بجنون أو سكر أو خبل ثم يعبدونه مع الله، نسأل الله السلامة العافية، يزعمون له الولاية.

من العجائب والعجائب وجمَّ في مدينة بشاور قال لي أحد الناس: ما رأيك تذهب وترى أحد أولياء الله الصالحين؟ أنتم ما تقرون بالأولياء؟ قلت: والله كيف ما نقر بالأولياء؟! قال: تعالى نرى، الوهابية ما يحبون الأولياء، قلت: والله الوهابية هم الذين يحبون الأولياء ويأمرون بإتباعهم، لكن ما يأمرون الناس بعبادتهم.

فأخذني إلى مكان وإذا برجل نحن بالعامية نسميه: "صلت ملت"، كما ولدته أمه ليس عليه شيء في الشارع والناس يتمسحون فيه، هذا الآن ولي من أولياء الله عندهم يتمسحون ويتبركون أو يطلبون منه نظرة مسحة وتفلة، سبحان الله أين العقول؟! والله يا أخي الواحد يتعجب، هذا دليل أن المشركون المتأخرون أعظم شركًا من المشركين الأولين .

الثامنة عشر: الغلو أعظم أسباب الشرك.

كما قال ابن عباس: "فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم اتخذوا الصور، ثم عبدوها مع الله"، هذا في البخاري.

يقول الإمام محمد رَحِمَهُ اللهُ: أظهر لهم الشيطان الإخلاص نقيصةً في الصالحين، تُخلص العبادة لله إذًا أنت تنتقص الصالحين، ما تطلب منهم شفاعة، ما تطلب منهم البركة، تطلب البركة من الله، تطلب من الله الشفاعة، هذا الإخلاص عندهم نقيصة في الصالحين، وهذا يذكرك بقول من؟ بقول من يقول: أن الذي يوالي عليًا ولا يعادي أبا بكر فليس بموالٍ لعلي، الذي يُخلص لله عَزَّ وَجَلَّ يجب أن يُقبل رأسه، هذه ليست نقيصة يا أخي!

يقول الإمام محمد: أظهر لهم الشيطان الإخلاص نقيصةً في الصالحين، وتنقيصا في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك وطلب الشفاع والبركة و..و... إلى آخره، وأظهر لهم الشرك في محبة الصالحين وإتباعهم؛ هذا في الأصول الستة، هذه قاعده عظيمة، نسأل الله السلامة والعافية.

إذًا: الغلو أعظم أسباب الشرك، انتبهوا فمن يعبد مَلِكًا أو مَلَكًا، وليًا أو صالحًا، نبيًا أو غيره، يعبده من جهة الغلو، الغلو يوصل الناس إلى أن يعبدوا العلماء والأمراء، انتبهوا، الغلو يوصل الناس إلى أن يعبدوا الأولياء والملوك، غلو.

ولذلك يجب على الإنسان يحذر من الغلو؛ ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، خطاب لهم فقط ونحن يجوز لنا الغلو؟ يقول النبي عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ»، يقول: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، -سبحان الله-.

التاسعة عشر: صرف العبادة لغير الله شرك.

لو قال لنا قائل ما هو الشرك؟ صرف العبادة لغير الله، ما هو التوحيد؟ صرف العبادة لله، تأمل معي هذا فرق عظيم قاعدة عظيمة تفرق بها بين الشرك وبين البدع.

الشرك: صرف العبادة لغير الله، البدعة: تغيير العبادة، يعني مثلًا: الطواف لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإذا طاف الإنسان لله عند البيت؛ فهذا أدى العبادة كاملة، نرجو أن يكون مخلصًا لله.

أما من قال: أنا أطوف لله حول بيتي؟ نقول: بدعة، فإن قال أطوف للولي؟ نقول: شرك، صرف العبادة لغير الله، نحفظ هذه القاعدة حتى لا تختلط الأوراق كما يُقال.

العشرون: التوسل المشروع ثلاثة أنواع، وما عداها فإما بدعي أو شركي.

وكلكم تعرفون أنواع التوسل المشروع أعظمه وأجله وأطيبه وأفضله التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته وأفعاله المختصة به سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

أعوذ بوجهك، أسألك اللّٰهم بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، يا غفور اغفر لي، يا مُجري السحاب، ومنزل الكتاب ارحمني، ونحو ذلك.

الثاني: التوسل بعمل صالح لكن بشرط عدم التمنن، لا يجوز التمنن على الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، وإنما يذكر العبد عمله الصالح على سبيل الرجاء، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا﴾[المؤمنون: ١٠٩]، هو الآن يتمنى بالإيمان أم يقدمه على سبيل الرجاء؟ رجاء.

﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، اللّٰهم إني آمنت بك فأسالك اللّٰهم أن تنجيني، اللّٰهم إني صليت لك خالصًا، أسالك اللّٰهم أن تعافيني، ونحو ذلك.

الثالث وهي التي قال عنها بعض العلماء أنها مكروهة: طلب الدعاء من الغير بشرط أن يكون حيًا حاضرًا، فيسمعك ويراك ويقدر أن يدعو لك.

الحادية والعشرون: الشفاعة المشروعة لها شرطان، وإذا خلا منهما فهي شركية.

﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

إذًا: يوجد إذن ويوجد رضا، الإذن يكون من الله عَزَّ وَجَلَّ، للشافع أن يشفع، هذا واحد.

وإذن من الله أن يشفع في المشفوع، هذا اثنين، لأن لا أحد يستطيع أن يتكلم إلا بعد الإذن، يريد أن يتكلم في فلان، لا يكون إلا بإذن، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾[النبأ: ٣٨].

إذًا: الأول أن الله يأذن له بأن يتكلم، طيب إذا يتكلم يقول: يا ربي أشفع في فلان؟ إن أذن الله له، يقول: يا ربي أدخله الجنة، يا ربي أخرجه من النار، إن لم يأذن الله له؟ يقول: أشفع في فلان؟ يقول: لا، من يستطيع أن يقول: لا، أريد أن أشفع فيحتاج الإذن مرتين: مرة ليتكلم، ومرة ليُخصص المشفوع بشفاعته، ولذلك هذه لابد منها.

الأمر الثاني: الرضا، لا يمكن أن تكون هذه الشفاعة شفاعة شرعية إلا برضى من الله عَزَّ وَجَلَّ، رضاه عن الشافع رضاه عن المشفوع، أمرين:

رضاه عن الشافع، لأن هناك أناس لا يصلحون أن يكونوا شفعاء، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّاعِنِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، إذا أراد الإنسان أن يكون من الشفعاء فلا يأتي باللعن على لسانه إلا في موارد شرعية.

ورضا الله عن المشفوع؛ ومعلوم أن الله لا يرضى عن المشفوع ما لم يكن موحدًا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

إذًا: هو يرضى الإسلام ولا يرضى الكفر، فلا يرضى في الشفاعة أن تكون من الشافع، وإن أذن له إلا في حق المسلم.

قد يقول قائل: طيب مادام المشفوع مرضي عند الله فلم الشفاعة؟ سؤال مهم أم لا؟ الله -جل وعلا- يريد أن يُظهر شرف ومكانة الشافع فيريد من الشافع أن يتكلم ليظهره أمام الخلائق أنه كريم عنده، أنه أمين عنده، أنه مكين عنده، كما قال عَزَّ وَجَلَّ عن جبريل عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام.

إذًا: هذه هي القضية الأساسية إظهار منزلة ومكانة الشافع، ومن هنا تأملوا حديث الشفاعة الذي في رواية أبي سعيد الخدري التي في الصحيحين قال في آخر الحديث: يقول

الله عَزَّ وَجَلَّ: شفعت الملائكة، ظهرت منزلتهم أم لم تظهر شفاعتهم؟ شفع الأنبياء والرسل، شفع الصالحون، ولم يبقى إلا رب العالمين، فيخرج الله أناسًا من النار لم يعملوا خيرًا قط من الموحدين لا يعلمهم إلا الله.

ما أحد يعرفهم، لأن أنت الآن عندما تشفع أنت ما ستشفع إلا لشخص تعرفه، فهؤلاء ما عرفهم أحد كانوا في جهنم وأصبحوا تبرًا، كما جاء في بعض الروايات: "ذابوا وأصبحوا تبرًا في النار ما عرفهم أحد".

لأن في بعض الروايات: "اذهبوا وأخرجوا من النار من تعرفون، اذهبوا وأخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من بر، حبة شعير، حبة كذا"، ذرة من إيمان، ولا يبقى إلا أناس لا يعلمهم إلا الله.

فإذًا: الله -جل وعلا- يخرج الموحدين من النار .

الثانية والعشرون وهي الأخيرة في القواعد المرضية فيما يتعلق بتوحيد الألوهية: أولياء الله هم الموحدون، وأولياء الشيطان هم المشركون.

وهذه القاعدة هي من القواعد الست التي أوردها الإمام محمد في الأصول الستة، هذه هي القاعدة أو الأصل الخامس من الأصول الستة.

قل: يا شيخ كيف نعرف ولي الله؟ أنظر إلى طاعته وعبادته لمن يصرفها؟ إن كان يصرفها لله فاعلم أنه من أولياء الله، وولاية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى درجات.

رابعًا: القواعد الثابتات في الأسماء والصفات:

القاعدة الأولى: توحيد الأسماء والصفات تدل بالمطابقة على الربوبية والألوهية.

يعني إذا قلنا: الغفور؛ فكلمة الغفور هذه الكلمة الاسم، يدل على الرب -جل وعلا- بالمطابقة، ويدل على صفة المغفرة، وهذه من خصائص الألوهية.

إذًا: توحيد الأسماء والصفات هذا الباب يدل على توحيد الربوبية والألوهية بالمطابقة.

القاعدة الثانية: القول في الصفات كالقول في الذات.

ما معنى القول في الصفات كالقول في الذات؟

إذا قال لك المشبه أو المعطل: أنك إذا أثبت أن الله يجيء فإنه يلزم من مجيئه أن لا يكون فوق العرش، فقل له: أنت أترك هذه اللوازم وانتقل إلى القاعدة هذه: القول في الصفات كالقول في الذات، تثبت لله ذاتًا أم لا تثبت؟

إن قال: لا أثبت صار ملحدًا، وإن قال: أثبت، تقول: و في المشاهد ما من ذات إلا وهو في زمان مخلوق ومكان مخلوق، فهل يلزم ذلك أن يكون في الرب؟

الجواب: لا، إذًا كذلك قل في مجيئه وفي استوائه، القول في الصفات، كالقول في الذات.

القاعدة الثالثة: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

مثال ذلك: إذا قال لك الأشعري: أن إثباتك لصفة الاستواء على العرش يلزم منه كيت وكيت، قل له: وإن إثباتك لصفة العلم لله عَزَّ وَجَلَّ يلزم منه كيت وكيت، فإن قال: لا، هذا اللازم في المخلوق وليس في الخالق، فقل له: اللازم الذي أوردته في الاستواء هو في المخلوق وليس في الخالق؛ لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

وهاتان القاعدتان من أعظم القواعد، من ضبط هاتين القاعدتين ضبط قاعدة المناظرة والمجادلة في باب الأسماء والصفات، وقد دندن عليهما كثيرًا شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ اللهُ في كتابه العظيم (التدمرية)، فعليكم بهذا الكتاب فإنه يمر العقائد البدعية.

القاعدة الرابعة: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصف نفسه بصفات ثبوتية وبصفات سلبية.

الصفات الثبوتية هي الموجبة، والصفات السلبية هي المنفية، فالله -جل وعلا- قال مثلًا: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]؛ فكلمة: ﴿اللَّهُ﴾؛ دالة على صفة الالوهية، ﴿الصَّمَدُ﴾؛ دالة على الصمدية، هذه صفات ثابتة موجبة.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]؛ صفات سلبيةٌ منفيه عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

ما المراد من هذه القاعدة؟ المراد من هذه القاعدة: ندرك أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى جمع في وصفه لنفسه بين الصفات الثبوتية والصفات المنفية.

والآية التي جمعت بين الصفة المنفية والمثبتة هي آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ ف﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: نفي وسلب، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: إثبات.

القاعدة الخامسة: مبنى أو قاعدة الأسماء والصفات على الإثبات بلا تشبيه والنفي بلا تعطيل.

فمثلًا لو قال لنا قائل: تثبت لله عَزَّ وَجَلَّ صفة المجيء؟ نقول: نعم، نثبت لله صفة المجيء ، لو قال لنا: كيف مجيئه؟ نقول: لا نعرف، فأثبتنا بلا تمثيل أو بلا تشبيه، وأيضًا نفينا بلا تعطيل.

تأمل لما قلنا: نثبت صفة الاستواء؛ هذا إثبات، بلا كيف؛ إذًا: بلا تشبيه؛ فنفينا بلا تعطيل وأثبتنا بلا تمثيل.

لم أجد أحدًا صرح به لكني فهمته من صنيع الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ ، تعرفون إمام الأئمة صاحب كتاب (التوحيد)، أول ما جاء باب إثبات صفة النفس لله عَزَّ وَجَلَّ، تأملت في نفسي لماذا بدأ بصفة النفس؟ استغربت جدًا، حتى في الكتب الأخرى ما وجدت هذا الصنيع!

مباشرة أول ما بدأ بعد المقدمة أول باب: باب صفة إثبات صفة النفس لله عَزَّ وَجَلَّ، فقلت: أكيد هذا إمام الأئمة، لماذا لُقب بإمام الأئمة؟

لأن تلامذته كلهم أئمة، ابن حبان إمام في الحديث من تلاميذه، والشافعية تلامذته كلهم أئمة في الفقه الشافعي، أئمة في الأصول، أئمة في اللغة، كل تلامذته أئمة؛ فلذلك سموه لقبوه بإمام الأئمة.

فقلت: لابد أن في ذلك مخزى، فلما تبين لي وضعت هذه القاعدة بناءً على صنيع الإمام ابن خزيمة، ما هي القاعدة السادسة؟

فالقاعدة السادسة: هي إثبات النفس لله عَزَّ وَجَلَّ أصل في إثبات الصفات الذاتية الخبرية.

تكملة القاعدة: وإثبات صفة العلم أصل في إثبات الصفات الذاتية المعنوية.

النفس في اللغة العربية تأتي بمعنى: الذات، لكن كلمة الذات ما جاءت في كتاب الله، وإنما الذي جاء في الكتاب، والذي جاء في السنة كلمة (النفس)، قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فهنا المقصود به: ذاته جل وعلا.

والنفس تُطلق ويُراد بها المعنى الأخص مثل قول عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾؛ يعني شيء غير ظاهر.

فمن أثبت لله عَزَّ وَجَلَّ ذاتًا فإنه يثبت الصفات الذاتية الخبرية الأخرى كالوجه واليدين والعينين ونحو ذلك.

وأنت لا تناقش جهميًا إلا في هذه المسألة، وفي الحقيقة أن كلام شيخ الإسلام: القول في الصفات كالقول في الذات مأخوذ من هذا، فإن الجهمي إذا أثبت الذات لزمه أثبات الصفات، فإذا أثبت النفس لزمه أن يثبت الصفات الأخرى كلها، وإذا نفى النفس قال: ليس له ذات ليس، ليس له نفس صار ملحدًا.

وإثبات العلم أصل في إثبات الصفات الذاتية المعنوية؛ لأن الصفات الذاتية تنقسم إلى قسمين:

صفات ذاتية خبرية؛ بمعنى: لا يمكن العلم بها إلا من جهة الخبر، كإثبات صفة الوجه لله عَزَّ وَجَلَّ، والعينين، وصفة اليد لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وأما النوع الثاني: فصفات ذاتية معنوية يمكن إدراكها من جهة العقل، ولكن لابد من ورودها في الشرع.

القاعدة السابعة: كل اسم أو صفةٍ أو فعل يدل على نقص؛ فهو ممتنع على الله تعالى.

لماذا ممتنع؟ لأنه موصوف بالكمال، والموصوف بالكمال يمتنع أن يتصف بالنقص سواء في الأسماء أو الصفات.

ولذلك ليس من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ كل لفظ يدل على نقيصة ما يمكن، ممكن أن تجد في الناس أسماء قبيحة، لكن في رب العالمين لا يمكن أبدًا.

ومن هنا كلما نظرت أن الناس ينادون الله عَزَّ وَجَلَّ بأسماء من عند أنفسهم، فانظر لها فإذا علمت أنها دالة على نقيصة فاعلم إنها من اختراعاتهم، كل اسم أو صفة أو فعل تدل على نقص فهو ممتنع على الله تعالى.

القاعدة الثامنة: الوجود المطلق بشرط الإطلاق لا وجود له إلا في الأذهان.

هذه قاعدة عقلية، لكن لماذا أوردناها في باب الأسماء والصفات؟

لأن هناك من أهل الكلام من زعم أنه يثبت لله وجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق، الوجود المطلق بشرط الإطلاق؛ يعني: لا يؤيده لا باسم ولا بوصف، الوجود المطلق بشرط الإطلاق لاوجود له إلا في الأذهان، شيء خيالي، أن يكون هناك شيء ليس له اسم ولا صفة لا يمكن أن يكون إلا في الخيال.

خياله يفكر أن هناك شيء يمكن وجوده ليس له اسم وليس له صفة، أما في الحقيقة فلا يوجد.

القاعدة التاسعة: مذهب التمثيل والتعطيل والتفويض والتوقف محدثٌ.

هذه مذاهب أربعة في باب الأسماء والصفات كلها مُحدثة، مذهب التمثيل وهي التي سار عليه الهشامية من الرافضة، ونُسب إليها أتباع ابن كرام.

ومذهب التعطيل الذي سار عليه الجهمية والجعد بن درهم، وسار عليها المعتزلة، وسار عليها الأشاعرة.

بعد العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيميه يقولون: هذه ولادة غير شرعية بين الجهمية والمعتزلة والأشعرية، فالجهميةُ أم، والمعتزلةُ بنت، والأشاعرةُ حفيد؛ والله لو لم يوجدوا لكان خيرًا للأمه، لكن قضاء الله سابق وقدره واقع.

والتفويض: لا يُعرف طائفة من الناس ينتسبون إلى هذه المقالة، ولكن هناك أفراد يقولون بهذه المقالة.

عرفتم الفرق؟ يعني: التمثيل في طوائف، والتعطيل في الطوائف، أما التفويض فليس هناك طوائف فنقول: هؤلاء هم المفوضة، وإنما نقول: هذا مفوض وهذا مفوض وفلان قال بالتفويض.

وقد قال بالتفويض جمع من الأشاعرة الذين تردد أمرهم بين أهل الحديث، وبين الأشاعرةِ أنفسهم.

التوقف: هذه الطائفة كانت معروفه خصوصًا في زمن الإمام أحمد، ويسمون الواقفة، والتوقف معناه: أن يقف لا يقول شيء في الصفات، يمتنع عن الكلام في الصفات، وعُرف هذا المصطلح على وجه الخصوص في وصف كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

في خصوص صفة كلام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، هذه المذاهب كلها مُحدثة قاعدة يجب أن ندركها، فالسلف رَحِمَهُم اللهُ كانوا في هذا الباب على نفي التمثيل مع الإثبات مع إدراك المعنى ونفي الكيف وعدم التوقف.

القاعدة العاشرة: كل نفي في القرآن في باب الصفات فهي متضمنة لإثبات كمال الضد.

وهذه القاعدة يوضحها القاعدة التي بعدها.

القاعدة الحادية عشر: النفي المحض ليس كمالًا.

أنت الآن تأمل معي لو قلت: هذه السيارة ليست بيضاء، ليست حمراء، ليست صفراء، ليست ذات مقاعد أربع، ولا مقاعد اثنين، ليست وليست وليست، هل الآن بناءاتك هذه بنفيك هذا صغرت من شأنها أم كبرت من شأنها؟

إذًا: تأملوا النفي المحض لا يحمل كمال، ماذا يحمل في طياته؟ النقص والاحتقار حتى يصبح عدمًا.

لكن لما أنت تأتي بالكمالات، هذه السيارة لونها من أجمل الألوان، هذه السيارة من أسرع السيارات؛ تأمل أن الإثبات كلما كان على سبيل الكمال، كلما فاق الإنسان وذهب إلى الأعلى.

ولذلك النفي المحض ليس كمالًا، ولذلك الله -جل وعلا- لا ينفي عن نفسه نفيًا محضًا، وإنما ينفي لأحد أمرين:

إما أن يكون النفي نفيًا عامًا؛ والنفي العام كمال، نفي عام وليس نفي تفصيلي والنفي العام كمال.

حينما نقول مثلًا: إن جبريل ملك ليس كأحد الملائكة، تأمل الآن نفي عام تضمن الكمال أم النقص؟ الكمال.

النفي العام لذلك جاء: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، تأمل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١].

إذًا: تأمل هذه الأشياء، جاءت على سبيل النفي العام؛ فتضمن عكسه وهو: إثبات الكمال المطلق.

والنفي الخاص في القرآن يأتي لغرض إما لدفع توهم متوهم؛ كقوله -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، لماذا نفى هذا الشيء الخاص؟ حتى لا يتوهم المتوهم أنه استراح في اليوم السابع، كما قال بذلك اليهود عليهم لعنة الله.

أو يكون النفي الخاص لأجل مقالة قيلت؛ كما قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، فنفى الله هذه المقالة عن نفسه.

﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، حتى لا يتوهم المتوهم أنه ينام أو ينعس، نفى هذا الشيء.

إذًا: النفي المحض ليس كمالًا، فكل نفي في القرآن في باب الصفات فهي متضمنة لإثبات كمال الضد.

القاعدة الثانية عشر: غالب النفي في القرآن مُجمل، والإثبات مُفصل.

لأن هذا هو سبيل الكمال.

القاعدة الثالثة عشر: إثباتنا للصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف.

ما معنى هذا الكلام؟ يعني حينما يخبرنا الله -جل وعلا- أنه يجيء، نثبت أنه يجئ، هذا إثبات ماذا؟ إثبات وجود، كيف يجئ؟ لا نعلم.

وسأضرب لكم مثال واقعيًا: أنا في نظركم صادق، ولا ريب أن خبر الله في القرآن أصدق الأخبار، وخبر رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابت من أصدق الأخبار، طيب، إذا أنا العبد الفقير الصادق في نظركم إذا أخبرتكم أن في يدي شيئًا تصدقون، أو تكذبون؟

إذًا: هذا يسمى إثبات وجود، أثبتم أن شيئًا موجوًا، كيف ما هو الموجود؟ لا تعرف، إذًا: هذا يسمى إثبات وجود، لا إثبات تكييف، فنحن نثبت لله عَزَّ وَجَلَّ الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف، يجيء؟ نعم، كيف؟ لا ندري، استوي؟ نعم، كيف؟ لا ندري، نجزم أنه لم يستوي كاستواء المخلوقين، ولا يجيء كمجيء المخلوقين، لا يأتي كإتيان المخلوقين؛ هكذا في جميع أبواب الصفات.

إذًا: إثباتنا للصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف.

القاعدة الرابعة عشر: أسماء الله جَلَّ وَعَلَا كلها حسنى.

ومعنى حسنى: أي: أنها متضمنه للمعاني الكاملة، ومن هنا ندرك أنه لا يمكن أن يكون من أسماء الله ما هو جامد، أو ما هو مشتق محتمل لمعنى الحسن والقبح.

نضرب مثال: لو قال لكم قائل: جاء في الحديث: «**إن الله وِتْرٌ يُحِبّ الوتر، فأوتِروا يا أهل القرآن**»، الوتر من أسماء الله، ماذا تقولون؟ هذا جامد إذًا: لا يكون اسمًا، ماذا يكون إذًا؟ صفة، وإنما جاء في معناه الاسم وهو الأحد، في القرآن وهو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فتأمل الآن، لأن كلمة الأحد تتضمن معنى نفي المثلية كما ذكرنا فيما مضى أسماء الله جل وعلا كلها حسنى.

لو قال لنا قائل: إن من أسماء الله (الدهر)، نقول: لا، الدهر ليس من أسماء الله لأن الدهر اسم جامد، وأخطأ ابن حزم إذ جعله اسمًا من أسماء الله.

لو قال لنا قائل: (المعذب) من أسماء الله، لا، لأنه محتمل للقبح فهو معذب لمن يستحق التعذيب، هو دائمًا معذب؟ لا يصح.

فإذًا: هذه قاعدة نحفظها، فأخطأ من أخذ من الأفعال أسماء لله عَزَّ وَجَلَّ، فسماه: المعذب، سماه المُحرق، نسأل الله السلامة والعافية.

الخامسة عشر: أسماء الله ليست محصورة في تسعةٍ وتسعين اسمًا.

السادسة عشر: يُدعى الله تعالى بأسمائه لا بصفاته.

لماذا يُدعى بأسمائه لا يُدعى بصفاته؟ الصفة لازمه الذات، مضافة إلى الذات، فلا يُنادى المضاف دون المضاف إليه.

السابعة عشر: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور: ثبوت الاسم، ثبوت الصفة، ثبوت حكمها.

ومن هنا ندرك أن أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيها ما هو لازم، وفيها ما هو متعد.

وهذه أيضًا قاعدة ممكن تضعوها: أسماء الله تعالى لازمة أو متعدية.

لما ننظر إلى صفة الحي فنثبت الاسم لله عَزَّ وَجَلَّ وهو الحي، الصفة الحياة، لكن ليس لهذا الاسم ثبوت الحكم أثر، لكن لما نقول مثلًا: القيوم، اسم من أسماء الله، ثم صفته القيومية، ثم به قامت السموات والأرض.

التاسعة عشر: الشر لا يدخل في أسماء الله تعالى، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله.

الشر لا يدخل في أسماء الله تعالى، ولا يأتي منه إلا الخير جل في علاه، ولا في أوصافه ولا في أفعاله.

ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»، وإنما الشر في مفعولاته، وهي أمور عدمية يوجدها الناس، أمور عدمية يتسبب فيها المخلوقين المفعولين.

الشر لا يدخل في أسماء الله، إذًا: بلا يمكن يكون في حال من الأحوال أسمائه دالة على الشر، ولا في أوصافه لا يمكن أن يكون هناك صفة متضمنة لأي نوع من أنواع الشر، ولا

في أفعاله، فالله جل وعلا يخلق لا يمكن أن يكون خلقه شرًا، يرزق لا يمكن أن يكون رزقه شرًا، يملك لا يمكن أن يكون ملكه شرًا، إنما الشر يكون في مفعولاته.

ما معنى في مفعولاته؟ المخلوقات، الشر شيء عدمي، وهذا الشيء إنما يتسبب في إيجاده المخلوقات، يتسبب في إيجاده المفعولات.

فمثلًا نضرب مثال برأس الشر إبليس: الله -جل وعلا- خلق إبليس، خلقه لإبليس في حد ذاته ما يتضمن أي شر، خلق من مخلوقات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، من الذي اختار سبيل الشر؟ إبليس، فوجد الشر في مخلوق الله عَزَّ وَجَلَّ.

طيب، قد يقول قائل: إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق النار، طيب أنا أسألكم سؤالًا؛ وجود النار، وجود الضوء عند الإنسان شر أم خير، أم بحسب استعماله؟ إذًا: ليس هو شرًا محضًا، وجود الضوء، وجود النار فيه منافع الله امتن بها في كتابه: ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

تأمل لو ما عندنا نار كيف نطبخ؟ كيف نأكل؟ فإذًا: ندرك هذا يكون في المخلوقات أو المفعولات؛ ولذلك حتى تعذيب الله للكافرين في النار ليس شرًا محضًا، إنما هم تسببوا في هذا الشيء.

القاعدة العشرون: الصفات يُقسم بها ويُتوسل بها ولا يُنادى الله بها إلا أن تكون من الصفات المختصة التي تدل على الذات.

كـ«يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ»، طيب، الصفات يقسم بها، يعني أنت تقول: أقسم بوجه الله، أقسم بيد الله، أقسم بكلام الله، أقسم بعزة الله؛ هذا جائز.

ويتوسل بها: أعوذ بوجهك، أعوذ بعزتك، أسالك برحمتك؛ هذا توسل جائز، أسالك برحمتك؛ أي: أتوسل إليك برحمتك.

مثل كما لو قلت: أسالك بأنك أنت الغفور، لكن هذاك توسل بالاسم وهذا توسل بالصفات؛ فهذا جائز.

لكن الذي لا يجوز بالصفات هو النداء، إذًا لا يجوز أن تقول: يا رحمة الله أغيثيني، يا كلام الله أنجدني، يا قوة الله أغثني، يا عزة الله، لا، إنما نقول: يا عزيز، أو أسالك بعزتك؛ هذا جائز.

طيب لماذا جاز «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»؟ صفة مختصة تدل على الذات، إلا أن تكون من الصفات المختصة التي تدل على الذات ك«يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ».

الحادية والعشرون: الاسم العلم المتضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى هو اسم الجلالة "الله".

ولهذا تأتي الأسماء الحسنى صفات له: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [الحشر:٢٢]، ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾[ابراهيم:٢].

الثانية والعشرون: الاسم الدال على جملة أوصاف لا تختص بصفة معينة مفردة.

نحو: المجيد، العظيم، الصمد، حينما يأتي إنسان يقرأ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، على قراءة الرفع، ما معنى المجيدُ؟

فما يجوز أن نفصّل كلمة المجيد باسم معين، فنقول: المجيد في مغفرته، لا، المجيد هذا الاسم دال على جملة أوصاف، فلا يجوز أن نخصصه على اسم مفرد، فنقول: المجيد في ذاته، المجيد في أفعاله، المجيد في جميع أسمائه، المجيد في جميع أفعاله.

وهكذا العظيم: العظيم في ذاته، العظيم في صفاته، العظيم في جميع أسمائه، العظيم في أفعاله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الثالثة والعشرون: نحصّل معنى زائدًا عن المعنى المفرد في حالة اقتران الاسمين معًا.

نحو: الغني الحميد، العفو القدير، العزيز الحكيم، القابض الباسط، المعز المذل، هذه ذكرها العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد، والشيخ الهراس رَحِمَهُ اللهُ في شرح النونية.

يعني نحن ندرك ما معنى الغني؟ أي: المستغني عن غيره، ما معنى الحميد؟ أي: الموصوف بصفات الحمد، طيب عندما يقول: الغني الحميد، جمع بينهما، الآن نحصّل معنى جديد، ما هو المعنى الجديد؟ لما اقترن الاسمين معًا، أو الوصفين معًا.

استفدنا الآن أنه -جل وعلا- غني مستغني، وفي نفس الوقت من جميل صفاته فهو يكرم عبيده، لأن الواحد يسمع الغني، يقول: لن ينظر لي وهو غير محتاج لي، لكن عندما تسمع: الغني الحميد، يقول: لا، مادام أنه غني وحميد سوف يحمد أي فعل أنا أفعله يشكرني ويثني علي.

حينما تسمع كلمة العزيز تخاف، لكن حينما يقترن العزيز الغفور، إذًا: تخاف وترجو، حينما تسمع العزيز، تقول: والله هذا يهلك السموات والأرض بلمحه، نعم صحيح، لكن حينما تقرأ العزيز الحكيم؛ تعلم أن لا يفعل ذلك إلا لحكمه، لا يأتي بالفيضان إلا لحكمه ولا بالزلازل إلا لحكمه؛ فعزيز حكيم، نستفيد معنى جديدًا.

الرابعة والعشرون: الاسم يدل على الله بالمطابقة، وعلى الصفة بالتضمن، وعلى الصفات الأخرى بدلالة اللزوم.

كم نوع من أنواع الدلالات استخدمنا؟ ثلاثة: الاسم يدل على الله بالمطابقة، وعلى الصفة بالتضمن، وعلى الصفات الأخرى بدلالة اللزوم.

حينما أنت تسمع كلمة الملك، الملك القدوس السلام، تسمع كلمة الملك تتصور هذه المعاني الثلاث، الملك المراد به: الله بالمطابقة، تضمن كلمة الملك، المُلك أن الله -جل وعلا- موصوف بأن له مُلكًا، مباشرة تتصور في ذهنك بعدما تحفظ هذه القاعدة أنه مادام أن له ملكًا فلابد أن يكون قادرًا، لابد أن يكون عزيزًا، حكيمًا، وهكذا.

الخامسة والعشرون: الإلحاد في باب الأسماء هو الميل بها عن ما يجب فيها.

قاعدة عظيمة ذكرها الشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليه هذه والتي قبلها وما سيأتي؛ فمن أثبت الاسم وأنكر ما تضمن ألحد، ومن أثبت الوصف دون الاسم ألحد، ومن أثبت الاسم والصفة دون الفعل إذا كان متعديًا فقد ألحد، أو دون الأثر إذًا ألحد.

السادسة والعشرون: صفات الله تعالى كلها عُليا.

المقصود بالعُليا: ما جاء في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل:٦٠]، فالأعلى والعليا، صفات الله كلها عُليا مؤنث الأعلى.

عُليا بمعنى: أنها عالٍ فوق ما يتصوره المتصورون، أو يتخيله المتخيلون؛ فهذه الصفات لا يمكن إدراكها لا بالتصور ولا بالتخيل، وفوق ما يتوهمه المتوهمون من النقائص فيه لأنها عُليا، فهي عالية من جهتين: من جهة اشتماله للكمال، ومن جهة تنزهها عن النقص.

صفات الله تعالى كلها عُليا بلا استثناء.

السابعة والعشرون: أسماء الله وصفاته توقيفية، معنى توقيفية.

أي: لا يمكن أن نسمي الله من عند أنفسنا، ولا نصف الله من عند أنفسنا.

الثامنة والعشرون: الاتفاق في المعنى الكلي العام لا يلزم منه التشبيه.

يعني الآن لما يقول إنسان: أنت موجود، تقول: نعم أنا موجود، تأمل كلمة الموجود، أنت موجود والحجر موجود والشجر موجود والملائكة موجودون والجن موجودون، والحشرات موجودة، والبهائم موجودة، والاسماك موجودة، الآن الاشتراك هذه الأشياء كلها في كلمة الوجود، هل يعني أنها كلها متشابهة؟ هذا معنى الكلام.

الاتفاق في المعنى الكلي العام لا يلزم منه التشبيه؛ فلما نقول: الله موجود والعبد موجود، هل وجوده كوجودي؟ تعالى الله عن ذلك.

إذًا: حينما يأتي إنسان ويقول: يا أخي كيف تقول أن الله الرحيم والعبد يوصف بأنه رحيم؟ نقول: ليس الرحيم كالرحيم.

لما يأتي إنسان ويقول: كيف تقول أن الله يجيء، و أن المجيء من صفات المحدثين؟ نقول: ليس المجيء كالمجيء فقط؛ فالاتفاق في المعنى الكلي العام، لا يلزم منه التشبيه.

التاسعة والعشرون: كل من نفى الاسم أو الصفة فهو مُشبه وإن أظهر التنزيل.

على هذا المعطل، مشبه أم ليس مشبه؟ مشبه، والمفوض؟ مُشبه، كل من نفى الاسم أو الصفة فهو مشبه وإن أظهر التنزيل.

القاعدة الثلاثون: الصفات الفعلية هي التي تكون متعلقة بمشيئة الله تعالى وإرادته، متى شاء فعل ومتى شاء لم يفعل.

هذا الفرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية.

الحادية والثلاثون: الصفة قد تكون ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار.

مثل: الكلام والخلق والرزق، فمن حيث وصف الله بها أزلًا؛ فهي ذاتية، ومن حيث وقوع أفرادها فهي فعلية.

الخامسة والثلاثون: مثل الذي مر معنا في الأسماء والصفات؛ الصفات إما ثبوتية وإما سلبية.

الثانية والثلاثون: تنوعت الصفات الثبوتية وتعددت؛ لأنها بتعددها تدل على كمال فوق كمال.

الثالثة والثلاثون: أفعال الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا تكون مخالفةً لأسمائه وصفاته جَلَّ وَعَلَا.

لأنها لا تصدر إلا من أسمائه وأفعاله، لأنها لا تكون إلا من الذات الموصوفة بالأسماء الحسنى والصفات العُلا.

الرابعة والثلاثون: الأفعال مشتقةٌ من الأسماء والصفات، والصفات مشتقةً من الأسماء، ولا تُشتق الأسماء منهما؛ -من الصفات والأفعال- ما لم يرد به نص.

الخامسة والثلاثون: الله تعالى موصوف بالأسماء والصفات أزلًا وأبدًا.

يعني: ما اكتسب الاسم بعد وجود الخلق سمي الخالق، لا، وليس بعد وجود رزقه سمي بالرزاق، لا؛ فهو الخالق والرزاق والعليم قبل وجود المخلوقين والمرزوقين والمعلومين.

السادسة والثلاثين: التشبيه في هذا الباب من جهتين: تشبيه الخالق بالمخلوق، أو تشبيه المخلوق بالخالق -تعالى الله عن ذلك-.

السابعة والثلاثون: ما جاء في النصوص في هذا الباب يجب الإيمان به، سواء أدركنا معناه أو لم ندرك.

الثامنة والثلاثون: إنكار العلو يلزم منه أحد أمرين: الحلول أو الإلحاد.

التاسعة والثلاثون: الله تعالى لا يُرى في الدنيا وإنما يُرى في الآخرة.

القاعدة الأربعون: الظاهر اللائق بالنصوص مراد، أما الظاهر الذي يتوهمه أهل البدع فغير مراد.

واللفظ له معنى عند الأفراد، ومعنى عند التركيب فيجب التنبه لهذا.

ما معنى استوى؟ قد تكون بمعنى: نضج، يحتمل بمعنى: كمل، يحتمل أن تكون بمعنى: علا وارتفع، لا نعلم حتى نضعها في سياقها، إذا وضعناه في السياق عرفنا ما معناها.

الحادية والأربعون: نعلم ما أخبرنا الله به ورسوله في هذا الباب من وجه دون وجه، فنعلم معاني الأسماء والصفات من حيث هي، ولا ندرك الكيفيات.

الثانية والأربعون: المضاف إلى الله نوعان: إضافة تشريف، وإضافة توصيف.

الثالثة والاربعون: أصل البدعة في هذا الباب التمثيل.

الرابعة والأربعون: منع قياس التمثيل والقياس الكلي في حق الله تعالى، والضابط في هذا الباب القياس الأولوي.

يعني قياس التمثيل ما يجوز أن نقول: ما من مُحدث إلا ويجيء فهو يحتاج إلى حركة وانتقال، ويحتاج إلى أرضيه ويحتاج إلى كذا، فالله إذا قلنا: أنه يجيء يلزم منه ذلك؛ هذا قياس التمثيل يسمى.

وقياس الشمول أن نقول: كل متحرك فهو مخلوق؛ إذًا: الله ليس بمتحرك، أدخلناه في الكلية، لظننا أنه يدخل مع المخلوق في الكلية، لا يجوز أن ندخل الخالق في كلية شمولية مع المخلوقين.

إنما الجائز هو القياس الأولى، القياس الأولى ضابطه في هذا الباب في باب الأسماء والصفات الضابط: هو القياس الأولى، أن نقول مثلًا: الجماد لا يوصف بالحياة، إنما يوصف بالموت، أيهما أكمل من حيث الوجود وجود الجماد أكمل، أم وجود الحي؟ الحي.

طيب وجود أي الحي أكمل، وجود الحي العليم أم وجود الحي الذي لا يعلم؟ إذًا: من باب أولى أن الله -جل وعلا- موصوف بالحياة والعلم، كل كمال في المخلوق لا نقص

فيه بوجه من الوجوه فالله أولى به، لأنه واهب الكمال، هكذا قاله شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ اللهُ .

الخامسة والأربعون : ما من صفةٍ عقليةٍ إلا ودل عليه النقل، وكل صفة نقلية ثابتة فإن العقل لا ينفيه.

السادسة والأربعون : باب الأخبار أوسع من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، وهذه الثلاثة الأخيرة توقيفية.

فمثلًا نقول: أن الله موجود، ولم يرد كلمة الموجود، هذا من باب الخبر، كل ما صح معناه يجوز أن نخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ، سواء تعلق بذاته أو صفاته أو بأفعاله، فباب الأخبار أوسع من باب الأفعال.

فباب الأفعال نقول: إن الله يعذب الكافرين، هذا فعل أم لا؟ فعل نعم، إن الله يعذب الكافرين؛ فلا يجوز أن نقول: أن من صفات الله التعذيب، لا نشتق من الفعل صفة، وإنما نقول: يعذب الكافرين وعذب الكافرين وأهلك الكافرين، نأتي بها على صيغة الفعل، وباب الصفةِ أوسع من باب الأسماء.

السابعة والأربعون: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، أعلام تدل بالعلمية على الله عَزَّ وَجَلَّ، وأوصاف تدل على صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الثامنة والأربعون: الأفعال التي تعدت بنفسها لها متعلق، وأثر على المخلوقين.

كخلق ورزق وهدى، ونحوها، والأفعال التي تعدت بحرق فلا تعلق لها، ك(استوى) وأتى وجاء.

التاسعة والأربعون: الصفات الذاتية مرجعها إلى اسم الله الحي، ومرجع الصفات الفعلية إلى اسم الله القيوم.

الخمسون: صفات الله تعالى معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار.

الحادية والخمسون: الألفاظ المجملة في باب الصفات لا تثبت مطلقًا ولا تنفى مطلقًا.

احفظ هذه القاعدة، لا يستطيع أن يغلبك أي مبتدع، تقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، يقول لك المبتدع: يعني له مكان؟ قل له: ماذا تقصد بالمكان؟ يعني: شيء مخلوق؟ الله ليس بالمخلوق، تقصد أنه فوق العرش؟ نعم هو فوق العرش.

الألفاظ المجملة في باب الصفات لا تثبت مطلقًا ولا تنفى مطلقًا، وإنما يستفصل فيها، فإن أدى معنى حق قُبل المعنى ورُد اللفظ، وإن قصد به معنى فاسد رد اللفظ والمعنى.

الثانية والخمسون: لازم كلام الله لازم؛ بشرط أن يكون اللازم صحيحًا.

الثالثة والخمسون: طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، وطريقة الخلف ثلم وجلهم وجهم.

ثلم: من الثلمة؛ يعني: الثغرة، وجلهم؛ يعني: ما فيه علم، وجهم؛ يعني: ما فيه حكمة، فيه قول جهم بن صفوان، وفي اللغة العربية كلمة جهم: تطلق على ما ليس فيه حكمة، فسبحان الذي وضع اللغات.

أخيرًا فيما يتعلق في باب الأسماء والصفات، هذه قاعدة أخيرة: ما من مبطل في هذا الباب إلا ويستدل إما بمقدمة فاسدة، أو نتيجة باطلة.

هذا والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❁ ❁ ❁